

المسلمون في الغرب قبل وبعد الحادي عشر من سبتمبر

(×) الدكتور مالك بن إبراهيم الأحمد

لارتباط ذلك بالمسلمين « كالجسد الواحد » وتأثير هذا على واقعهم هناك وارتباطه ببقية بلدان المسلمين .

في الورقات التالية سيتم استعراض واقع المسلمين في الغرب قبل وبعد أحداث سبتمبر ، مع أفراد الإعلام ، لأهميته وتأثيره ، ونظراً لتباين الواقع وتأثيره على المسلمين في الغرب فسيتم عرض ثلاثة نماذج :

امريكا ، لأنها بلد الكارثة .

السويد ، كأقصى ما يكون التسامح والانفتاح .

فرنسا ، كنموذج للعنصرية والكراهية .

أيضاً سنعالج بعض المفاهيم والمصطلحات المتعلقة بوجود المسلمين في الغرب ، وعلاقتهم مع الدول التي يقيمون فيها، استكمالاً للرؤية وتأسيساً للجانب الشرعي .

الوجود الإسلامي في الغرب :

الوجود الإسلامي في الغرب على نوعين : الأول مستوطن قديم كما هو في البلقان نتيجة للفتح الإسلامي لهذه المناطق ، والثاني هجرة جديدة ابتدأت منذ أواخر القرن التاسع عشر وازدادت بعد الحرب العالمية الثانية ، وتسارعت ابتداءً من الستينات من القرن العشرين .

الهجرات الأولى غالبها اقتصادي بحث ، وكان الهدف منها جمع ثروة ثم العودة للبلد الأم ، لكن من عاد قلة والأغلب استوطنوا ، سواء عن طريق استحضار أزواجهم أو - بعض الأحيان

المشكلة تكمن في أن حكومات بعض البلدان الأوروبية لا تعرف من تخاطب من المسلمين؟ فالكل يدعي أنه يمثل الإسلام، والكل ينشئ مؤسسات بمسميات إسلامية، كما أن كثيراً ممن يدعون إلى الإسلام في الغرب قد يعانون من الجهل بالإسلام، سواء في فهمه، أو تدريسه، أو سبل التكيف مع الواقع.

لم يكن الحادي عشر من سبتمبر (٢٠٠١م) حدثاً عادياً ، بل أصبح جزءاً من التاريخ المعاصر ، بل هو أهم حدث في القرن الحادي والعشرين، مثله مثل الحرب العالمية الأولى والثانية في القرن العشرين .

أصبح هذا التاريخ علامة فارقة بين واقع غربي متساهل (إلى حد كبير) ورؤية جديدة غاضبة حاتقة متشددة ، ليس على الجميع بل على فئة معينة تسبب بعض أفرادها في هذا الحادث الجلل .

ورغم الحديث الإضافي عن تأثيرات الأحداث على علاقات الدول بعضها ببعض وما سببته من تحطيم أنظمة والاستيلاء على بلدان ، ونشر الرعب بين العالم ، وظهور سطوة أمريكا وإذلالها للكثير من البلدان الضعيفة (المسلمة على وجه الخصوص) وتسلطها على الكثير من الشعوب ، إلا أن واقعاً جديداً ظهر في الأفق الغربي قلما اهتم به ، ونذر رصد تفاصيله ، ألا وهو واقع المسلمين في الغرب حالياً بعد هذه الأحداث .

إن هذه الرصد مطلوب وبشدة وباستقصاء

المسلمين المهاجرين على توفير احتياجاتهم الأساسية ، ولأجل ذلك ظهرت بينهم مجموعات تشاور على شكل لجان لمتابعة شؤونهم وقضاياهم الخاصة بهم ، وبمرور الوقت أخذت تمارس نشاطها باعتبارها منظمات عرقية ، ولكنها كانت على علاقة وصلة بالمساجد ، وتقوم بنشاطات تعليمية يسيرة .

بعض المنظمات الإسلامية المعروفة في البلاد الأصلية أسست مكاتب وفروعاً في بلاد المجر ، وقد استطاعت من خلال ما تتمتع به من تنظيم وما تملكه من تجارب عملية سابقة ، أن تكسب إلى جانبها في فترة قصيرة ، المجموعات والمنظمات الابتدائية في المجر .

ومن العراقيين والعقبات التي واجهت المسلمين في تأسيس المنظمات الإسلامية ، المتطلبات القانونية التي تضعها الدول الغربية أمامهم ، إذ أن معظم الدول الأوروبية تؤكد أن تمر عملية تأسيس الجمعيات والمراكز التعليمية والثقافية وحتى الدينية ، بمراحل وخطوات قانونية قبل أن يكون بالإمكان إضفاء الصبغة الشرعية عليها وتسجيلها لدى الحكومة بشكل رسمي ، لذا كان عليها أن تقدم شرحاً حول تشكيلاتها الإدارية وقائمة المساعدات المالية الشهرية ، وإيجاد مقر مناسب لمكاتبها وفروعها ، واعتماد أسلوب الإقتراع المباشر لاختيار الأعضاء وفي إطار القوانين والضوابط الحكومية .

المصادر المالية لهذه المنظمات تعتمد على تبرعات الأعضاء بشكل جزئي وعلى الدعم الخارجي بشكل أساسي ، ذلك أن معظم أبناء الجالية لا يزالون في وضع اقتصادي غير مساعد وليس بوسعهم أن يسدوا احتياجات هذه المراكز .

ولقد ظهرت في أوروبا (٣) منذ قيام الاتحاد

– الزواج من أهل البلد ، وهذا أثر بشكل كبير في الأجيال الجديدة ومدى قربها أو بعدها عن الإسلام .

وهناك تفاوت ملموس من بلد غربي لآخر ، من حيث المهاجرين واعدادهم ودورهم الاجتماعي والاقتصادي .

الهجرات في المراحل المتأخرة (ابتداء من الثمانيات) غلب عليها الجانب الإنساني والسياسي (لجوء) وأحياناً تتم لأسباب علمية ، حيث فضل بعض حملة الشهادات العليا من الدول العربية الاستقرار في تلك البلدان لأسباب علمية بحثية .

ويلاحظ (١) أن الهجرة إلى العالم الأنجلوساكسوني ، بريطانيا والولايات المتحدة وكندا ، يغلب عليها الطابع العلمي . أما الهجرة السياسية فهي منتشرة في كل البلاد الغربية ، بقدر تأزم وضع حقوق الإنسان في البلاد العربية – الإسلامية .

أعداد ومنظمات المسلمين في الغرب :

أغلب المسلمين يتوزعون بين أوروبا وأمريكا الشمالية ، ولا توجد إحصاءات دقيقة ، خصوصاً إن الكثير من البلدان لا يذكر الدين في الإحصاءات الرسمية .

وتشير التقديرات إلى أن عدد المسلمين في أوروبا يقارب الخمسين مليوناً ، نصفهم في أوروبا الغربية وأكثرهم يتركز في فرنسا ، حيث يقترب عددهم من الستة مليون ، نصف هذا العدد – تقريباً – مولودون على الأرض الغربية ، مما يؤهلهم لحمل جنسيتها وفي أمريكا هناك تفاوت كبير في عدد المسلمين لكن الأرجح أنه يقترب من سبعة ملايين .

في المراحل الأولى للهجرة (٢) تركز اهتمام

اقتصادية ، وهم من بيئات فقيرة ، ويجهلون كثيراً عن الإسلام في بلدهم ، فما بالك إذا انقطعوا عن بلدهم الأم ؟

واقع المسلمين في الغرب هو انعكاس لخلفيتهم في بلدنهم ، إضافة إلى عملية الدمج التي حدثت مع المجتمع الغربي ، مما أثمر نوعية من الناس متباينة فيما بينها أشد التباين ، ويزداد هذا الأمر عبر الأجيال الجديدة التي نشأت في هذه البلدان .

إن مما يخجل ، في النشاط التجاري لبعض المسلمين في الغرب ، أن معظم المحلات التي يملكها عرب مسلمون لا تستنكف أن تبيع المجلات والأفلام الخلاعية والسجائر المهرية (٤) ، وأما بيع المخدرات فقد تخصص فيها العديد من العرب والمسلمين ، وهذا لا يعنى أنه لا يوجد طبقة ملتزمة بأخلاقيات حضارتهم وتحاول تأكيد العكس عما يشاع عن العرب والمسلمين ، لكن المشكلة تمكن في أن تكرر الأعمال الإجرامية من بعضهم يشوه الصورة عن الجميع .

من الطرائف أن شرطياً سويدياً أوقف في يوم من الأيام سائقاً مسلماً لإجراء فحص التأكد من عدم شربه للخمر وهو يسوق سيارته ، فقال هذا السائق المسلم للشرطى السويدي : أنا مسلم ، فأجابه الشرطى السويدي بقوله : لقد قالها غيرك كثير قبل هذا وكانت بطونهم ممثلة بمختلف أنواع الخمر .

لقد أساء بعض المسلمين في الغرب إلى دينهم أكثر مما أساءت إليه المنظمات المتخصصة في نحر الإسلام .. التصرفات السيئة والمشينة لبعض المهاجرين من المسلمين في الغرب : من تورط في شبكات الجريمة والاتجار بالمخدرات أو العيش عالة على دافعى الضرائب الغربيين ،

الأوروبى فى أوائل التسعينات ، مؤسسات إسلامية ذات طابع أوروبى ، تهتم بأحوال المسلمين فى القارة الأوروبية كلها ، مثل منظمة رابطة الجاليات المسلمة فى أوروبا التى تأسست فى فرنسا ، ومجلس الإفتاء الأوروبى الذى يتخذ من مدينة كولن الألمانية مقراً له ، الفيدرالية العامة لمسلمى فرنسا ، كما اتجه بعض المثقفين فى أوروبا إلى إصدار وسائل الإعلام المختلفة التى تخاطب المسلمين فى أوروبا كافة مثل مجلة الأوروبية وقناة المستقلة التلفزيونية ، اللتان تستهدفان بالدرجة الأولى المسلمين المقيمين فى أوروبا .

واقع المسلمين فى الغرب ومشكلاتهم :

الزواج المختلط (بين المسلم والمرأة الغربية) مشكلة أساسية ، والذى يتم غالباً لأسباب تتعلق بالإقامة ، كثيراً ما ينتهى بالطلاق ، حيث يتعلق الأبناء بوطن أمهم باعتبار أنهم لا يعرفون شيئاً عن وطن أبيهم ، بل إن هذا الأب ربما يكون قد حدث بنيه عن وطن تسوده الديكتاتورية والوفضى ، عن وطن بوليسى مرعب ، باعتبار أن العديد من الأبناء العرب والمسلمين هاجروا إلى الغرب لدوافع سياسية أو اقتصادية ، وفى الوقت نفسه ، فإنهم يرون بأم أعينهم وطناً يوفر لهم الأمن والطمأنينة والسلام ، ويوفر لهم راتبا من الصغر يتيح لهم شراء حاجياتهم .

والأنهى هو زواج المسلمة من الغربى وهذا إنتشر فى هولندا بشكل خاص ، بسبب نشأة الفتاة المسلمة فى البيئة الغربية وعدم قدرة الأب السيطرة عليها .

ومن المشكلات أيضاً انتشار الجهل بالإسلام وبتعاليمه ، خصوصاً إذا علمنا أن أغلب المهاجرين ، لا سيما الأجيال الأولى ، كانت هجرتهم لأسباب

ورسوله (ص) ونعته بالتعصب والتخلف ومحاربة مظاهر التمدن ، وذلك بهدف رسم صورة سلبية عن المسلمين في أذهان الرأى العام الغربى ، ومن ثم غرس روح الكراهية لديه إزاء الإسلام ، كما تستهدف زرع بذور التشكيك لدى أطفال المسلمين إزاء دينهم ، وجعلهم يشعرون بالنقص بسبب انتمائهم للإسلام .

المسلمون والعمل السياسى :

يتمتع المسلمون الذين يعيشون فى الغرب (٦) ، سواء الذين يحملون جنسية البلد الغربى الذى يقيمون فيه أو المقيمون إقامة دائمة فيه ، بنفس المزايا الدستورية والقانونية والحقوق التى يتمتع بها الانسان الغربى بالكامل وبدون نقصان ، ويحق للمسلمين الانضمام إلى أكبر الأحزاب السياسية الفعالة ، سواء تلك التى فى الحكم او فى المعارضة ، كما يحق للمسلمين الذين يتمتعون بحق المواطنة تأسيس جرائد ومجلات ووسائل إعلامية مسموعة ومرئية ، كل ذلك متاح وتكفله القوانين التى لا تضع أى قيد فى طريق العمل السياسى او الإعلامى أو الثقافى .

وعلى الرغم من كل هذه الحرية المتاحة والمعطاة لكل من يحمل حق المواطنة الغربية ، إلا أن المسلمين المقيمون فى الغرب لم يستفيدوا من هذه الأجواء والفضاءات السياسية الحرة إلا بمقدار اثنى بالمائة ، كما تفيد العديد من البحوث الغربية .

لا شك أن هناك مشكلة أساسية حالت دون الإفادة المطلوبة ، وهى أن الكثير من المسلمين المقيمين فى الغرب يفتقدون الثقافة التى تؤهلهم للمشاركة السياسية ، والكثير منهم من أصول عمالية بالكاد يجد لقمة العيش ، والسياسة - فى نظرهم - ترف .. وهناك رأى آخر يذهب إلى

والتحايل على القوانين ، والركون الطوعى إلى البطالة ، والعيش على الإعانات الإجتماعية ، أو الإنخراط فى عصابات فى الجريمة المنظمة ، أو فى جماعات دينية أو سياسية متطرفة .. تلك التصرفات تشعر المجتمعات الغربية بأنها مهددة فى امنها وهويتها الثقافية والدينية والاجتماعية ، مما يزيد من تغذية المخاوف لديها من الأجنبى ومن أبناء الأقليات .

نظرة الغربيين إلى العرب المسلمين :

فى السابق (٥) وعندما كان الغربيون يريدون معرفة أى تفاصيل تتعلق بالعالم العربى الإسلامى ، أو السلوك الاجتماعى للعرب والمسلمين ، كانوا يعودون إلى المراجع الفكرية والثقافية التى وضعها المستشرقون ، الذين احتوا بالجغرافيا العربية والإسلامية وكتبوا انطباعاتهم عما شاهدوا فى الشرق ، الذى يظن بعضهم فى الغرب أن علاء الدين وفانوسه السحرى ما يزال يقيم فيه ، ولم تساهم هذه الدراسات فى تبين الصورة بشكلها الصحيح عن العرب والمسلمين ، وظل الغربيون العاديون يعرفون النزر اليسير عن العرب والمسلمين .

ومع تدفق العرب والمسلمين المهاجرين على الغرب ، واستيطانهم بشكل ملفت للنظر فى المدن والعواصم الغربية ، بات فى وسع الغربيين أن يحتكوا بالحالة العربية والإسلامية بشكل مباشر ، وأن يطلعوا عن كتب على سلوك وأخلاق ونفسية العرب والمسلمين ، للأسف الشديد يمكن القول : إن الغربى الذى كانت فى ذهنه صورة سلبية عن العرب والمسلمين جراء قراءات معنية ، فإن هذه الصورة ازدادت رسوخاً وتأكدت بشكل كامل ، المناهج الدراسية فى الغرب تقدم صورة مقلوقة بمعنى الكلمة ومشوهة جداً عن الإسلام

المؤسسات الإسلامية، وحتى المساجد، ففي ألمانيا مثلاً تم هدم أكثر من خمسين مسجداً، وغالباً بمبررات سخيفة ووشايات، في فرانكفورت اقتحم أكثر من خمسين عسكرياً مسجداً بزعم وجود «أسامة بن لادن» فيه كما وصلتهم المعلومات !!

على المستوى الأمنى، سخرت الأجهزة الغربية كافة إمكاناتها لمراقبة الوجود الإسلامى على أراضيها واصبح هناك ملف أمنى لأغلب المسلمين، خصوصاً المهاجرين منهم والذين لم يحصلوا على الجنسية، جميع المراكز والمساجد ومؤسسات المسلمين أصبحت تحت الرصد الكامل لأجهزة الاستخبارات، حتى التجمعات والمؤتمرات وخطب الجمعة أصبحت تسجل ويستند عليها لاتهام أشخاص، عملية التفتيش تشمل الاتصالات الهاتفية، وكذلك البريد الإلكتروني، حتى تلك الصادرة بلغات أخرى (كالعربية مثلاً) لذلك جندت أجهزة الاستخبارات بعض المسلمين من نوى النفوس الضعيفة للعمل كمخابرين على أخوتهم، بالترغيب المادى أحياناً، أو بالتهديد لانتهاكهم القوانين، بالتهديد بالطرد .. جيش المترجمين فى الاستخبارات الغربية بدأ ينمو بشكل مضطرب بعد الأحداث، خصوصاً للغات المسلمين الشائعة كالعربية والفارسية والأردو. أيضاً أجهزة الاستخبارات العربية، أصبحت مفتوحة للعربية، تقدم لهم أى معلومات يحتاجونها خصوصاً تلك المتعلقة بالإسلاميين. جزء من الأرشيف الأمنى الغربى بدأ يتكون من المسلمين طالبى الهجرة أو اللجوء، الذين يقدمون أى معلومات عن اشخاص وجهات يعرفونها يطلبها الجهاز الأمنى الغربى، لتسهيل حصولهم على الإقامة فى هذا البلد الغربى.

حرمة المشاركة السياسية، و يؤصل لذلك شرعياً، على أساس أنها ديار كفر ولا يمكن أن يكون المسلم جزءاً من النسيج السياسى الكافر.

وهناك بعض آخر من قيادات المسلمين فى الغرب يرى أن المشاركة السياسية يجب أن تكون ضمن أحزاب إسلامية، حتى تحقق أهداف المشاركة، وهذا الأمر متعذر حالياً لضعف ثقافة المسلمين وقلة عددهم.

تأثير أحداث سبتمبر على المسلمين :

تحول اقتصاد المسلمين بعد الأحداث إلى اقتصاد حصار، وتوالى عمليات الحظر والتجميد .. معاملات المسلمين فى الغرب التى تعرضت للتجميد والمصادرة تعد بالملايين، ويكفى الاشتباه أو الاتهام بالعمل لحساب «القاعدة» أو تبييض أموال لصالحها لمصادرة المال .. جميع الشركات التى تقوم بتحويلات من المسلمين المقيمين فى الغرب لحساب أقاربهم فى البلدان الإسلامية تعرضت للإيقاف، وحساباتها للتجميد، بحجة استخدامها غطاء لتمويل أموال لحساب الإرهابيين .. فرص العمل أيضاً بدأت بالتقلص والعنصرية بدأت بالظهور، فالتضييق على طالبى العمل من المسلمين وطرد بعض العمال (وإن كانت الحالات ليست كثيرة) والتشدد فى الترخيص لشركات المسلمين.

على المستوى الشخصى، تعرض المسلمون لاعتداءات متعددة تراوحت بين الشتم والسباب والاعتداء اليسىر والضرب، وفى حالات نادرة القتل .. أحياناً يتم التعرض لحجاب المسلمات بالنزع أو بالإشارة السيئة باليد «كير» رصدت ٦٢٥ اعتداء فى الأسابيع الثلاثة الأولى بعد الانفجارات فى أمريكا .. الاعتداءات لم تكن قاصر على الأشخاص، وإنما امتدت إلى بعض

المسلمين في مناطق الكوارث (أفغانستان ، البوسنة، فلسطين ...)

وصمن الحلمة الرسمية وشبه الرسمية أصبحت بعض التخصصات العلمية الحساسة محرمة على المسلمين ، ليس فقط القادمين من البلاد الإسلامية بل حتى المقيمين في البلدان الغربية بناء على توجيهات من الاستخبارات الحكومية. أحداث سبتمبر أخذت بعداً آخر في نظر الغربيين للإسلام فلم يكتفوا بالنماذج التي تعيش بينهم ولا الرؤية المترسخة في أنفُسهم ، بل انطلق الكثير منهم في البحث عن هذا الدين وحقيقته . وكانت العديد من وسائل الإعلام البريطانية ، على سبيل المثال ، قد ذكرت أن أحداث ١١ سبتمبر دفعت فئات كبيرة من الشعب البريطاني إلى الاهتمام بالإسلام والوعي بقيمته وتعاليمه.

وقالت صحيفة «الجارديان» في ٢٠٠٢/٩/١ م إن كل أماكن بيع الكتب الإسلامية ودورات الدين المقارن التي تنظمها الجامعات شهدت إقبالا متزايدا من غير المسلمين بعد أحداث سبتمبر ، لاكتشاف المزيد حول مبادئ الإسلام والسيرة النبوية ، كما ارتفعت نسبة مبيعات النسخ المترجمة للإنجليزية من القرآن الكريم خلال الأشهر الثلاثة التي تلت ١١ سبتمبر ٢٠٠١ م بصورة كبيرة

بعد ١١ سبتمبر أصبحت أوروبا وأمريكا أكثر صرامة بشأن تعاليم الإسلام الأصولي السلفي .. وبسبب الخوف من الإرهاب فإن الغرب الآن مهتم بجعل تعاليم الإسلام - التي تمارس ويجرى تعليمها في الغرب على الأقل - غير معادية للمقيم الغربية ، وخصوصاً مبدأ التعددية والعلمانية . كانت السمة البارزة للمجتمع الغربي عقب أحداث ١١ أيلول (سبتمبر) (٧) هي إظهار العداء للإسلام

حتى المسلمين من أصول غربية - الذين أسلموا - أصبوا تحت المجهر ، بما في ذلك كتاباتهم ولقاءاتهم وحتى مواقع الإنترنت الخاصة بهم وجمعياتهم .. بعض الحركات والأحزاب الإسلامية تم حظرها ومصادرة ممتلكاتها . لقد أثمرت الأحداث تقارباً كبيراً ومدهشاً بين محور الدكتاتوريات ومحور الديمقراطية ، تناست العواصم الغربية منطلقاتها وثوابتها ، فباتت تستقبل ملفات الأجهزة الأمنية برحابة صدر ، وخرجت من دائرة العمل بالبيئة إلى دائرة العمل بالشبهة ، ويكفي أن يكون المشتبه فيه مقيماً للصلاة ، متجهاً للعبة المشرفة في صلواته الخمس ، قارئاً للقرآن ، لتثبت الشبهة ، ويصبح تحت دائرة الضوء ، مجرداً من الحقوق ، كل الحقوق التي أقرها القانون الغربي نفسه ، وكثيراً ما كان المحققون الأمنيون الغربيون يسألون المشتبه فيه: هل تؤدي الصلاة؟ هل تشرب الخمر؟ ما هو مذهبك الديني؟ هل أنت ملتزم بالإسلام وتؤدي فرائضه أم أنت مسلم بالإسم؟ هل أمك محجبة ، وزوجتك وبناتك محجبات؟ ما هي الكتب التي تقرأها . ما رأيك في هذا الشيخ وذاك الشيخ ، وماذا تعرف عن الخلاف الفقهي بين هذا وذاك؟

ولقد تعرضت المؤسسات الخيرية في الغرب إلى ضربة قاصمة ، فبعض المؤسسات تم حظرها بالكامل (جمعية الأقصى في ألمانيا الأرض المقدسة في أمريكا) بعضها الآخر أصبح تحت الرقابة بالكامل ، وأموالها تحت التدقيق ، علماً بأن الأقليات المسلمة في الغرب نجحت في تأسيس شبكة من المنظمات الخيرية /معاملاتها تصل لمئات الملايين من الدولارات، جلها لخدمة أبناء المسلمين في الغرب ، وجزء منها لدعم

تهويل من شأن ما شهدته الأيام والأسابيع التالية للتفجيرات، أي الفترة التي يمكن أن نتوقع أن تسجل نزوة ردود الفعل الانفعالية على مستوى الشارع الغربي . ولا يعني ذلك التهوين من شأن ما وقع من اعتداءات وتجرشات ، فمجرد وصول ذلك إلى مستوى قتل عدد من الأفراد - كما كان في الولايات المتحدة الأمريكية - كاف للتنويه بحجم الخطر، إلا أن تقويم الوضع بصورة موضوعية ينبغي أن يقوم على استحضار الأرقام .

المفكر العربي المسلم مراد هوفمان (١٠) يرى أن أحداث ١١ سبتمبر كانت لصالح الإسلام ، وتستخدم مصلحة الإسلام بشكل عام ، والدليل أن الناس بدعوا ويحاولون فهم الإسلام ، ويسعون إلى البحث عنه وتفهمه ، حتى ان ترجمة معاني القرآن الكريم التي قام بتنقيحها باللغة الألمانية بيع منها ٤٠ ألف نسخة خلال سنة واحدة.

اما نزوة ما يمكن وصفه بردة الفعل الإيجابية على الدعايات السلبية الأولى بعد التفجيرات (١١) فكانت في يوم « الباب المفتوح » للمساجد الإسلامية كما حدث في ألمانيا يوم ٣٠/١٠/٢٠٠١م ، الذي يصادف يوم عطلة (نكرى إعادة الوحدة الألمانية) فقد نظم القائمون على المساجد عملية (استقبال الزوار) وتهيئة المحاضرين والمحاورين الأقدر من سواهم على عرض الإسلام وإجابة الاستفسارات عنه باللغة الألمانية ، بالمقابل شهدت المساجد في العام التالي أضعاف الزوار الذين كانت تستقبلهم في مرات ماضية منذ إطلاق هذا التقليد السنوي عام ١٩٩٦م .

رغم واقع المسلمين السيئ - في الجملة - إلا ان نشاط بعضهم ودور بعض المراكز الإسلامية ، وحلمة التعريف المستمرة بالإسلام ، خصوصاً

والمسلمين غير أن قاعدة في علم الاجتماع تقول بأن الأحداث الاجتماعية لا تتمخض عن نتيجة واحدة ، لقد أصبح الحديث عن محاسن الإسلام وهويته الحقيقة موضوع الساعة في الكثير من البلدان الأوروبية وأمريكا . وفي هذا الإطار قامت صحف كثيرة بإعداد تحقيقات وتقارير مفصلة عن الإسلام ونظراته إلى بعض المواضيع الرئيسية ، وأكبر دليل على تزايد الإهتمام بفهم الإسلام هو البيع القياسي للمصاحف القرآنية ، تأتي الدول التي تتميز بتعدد الثقافات - مثل السويد وسويسرا وهولندا وبلجيكا وبريطانيا - على رأس قائمة البلاد التي يحتل القرآن الكريم فيها المركز الأول دائماً بين قوائم أكثر الكتب مبيعاً .

كما تم إعداد محاضرات تحت اسم تينغ تانك (٨) تناقش العلاقة بين الاسلام والارهاب و قتهدف الى فهم التفاسير المختلفة للإسلام و في العواصم والمدن الكبرى، وخصص لذلك عدد من أكبر صالات الاجتماع، لكثرة إقبال الناس عليها. وبثت شبكة (أرت) التلفزيونية الألمانية الفرنسية برنامجاً وثائقياً، بعد الأحداث، يتحدث عن حياة وشخصية نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم، بينما كان من المقرر أن يذاع البرنامج بعد سنتين. والعامل الرئيسي في تقديم تاريخ بث البرنامج يرجع بلا شك الى رغبة الناس في تعلم الإسلام في أعقاب أحداث ١١ سبتمبر. وقد تمت إذاعة البرنامج في ثلاثة أيام على التوالي -في أكثر الساعات مشاهدة- محققاً رقماً قياسياً في نسبة المشاهدة.

لذلك يصح الانطباع القائل (٩) إن المسلمين أصبحوا عموماً تحت الخطر في بلدان الغرب، وإن الاعتداءات عليهم باتت يومية، ففي ذلك

كلمتا «إرهاب» و«جهاد» مرادفتين لكلمة اسلام . الإعلام الغربي يقوم على ترسيخ صور نمطية عن الذات و(الآخر) (١٢) : الذات باعتبارها رمزاً لتقدم والنجاح والتحضر و(الآخر) باعتباره أقرب إلى التوحش والبدائية وقلة الحضارة ، وتقوم وسائل الإعلام في معظم الدول الغربية بالتركيز على العديد من القضايا التي توظف المشاعر العنصرية في الضمير الأوروبي ، مثل قضايا اللجوء ، والهجرة ، والجماعات المتطرفة في الغرب ، وتصوير المجتمعات الأصلية للأقليات العرقية والدينية - التي تعيش في الغرب - باعتبارها مجتمعات للحروب والتخلف والعنف والإرهاب تصنع هالة من التوجس والخوف والانطواء تجاه الأجنبي « البربري » او « المتوحش » القادم إلى قلب الجنة الغربية من أجل إفسادها وتدميرها .

وتعتبر صورة العرب والمسلمين المشوهة (١٣) - المقترنة في الإعلام الغربي بكل ما هو قبيح وسيئ - أحد أبرز المظاهر على دور الإعلام والتعليم ومختلف أجهزة الثقافة الشعبية في إنتاج الكراهية والحقده على العرب والمسلمين لدى الغربيين ، وهي ظاهرة التي تعرف اليوم في الدراسات الاجتماعية الغربية باسم «الإسلاموفوبيا» أي الخوف والتخوف من الإسلام ، وتصويره باعتباره بعباً يهدد الحضارة الغربية .

بعد أحداث سبتمبر أصبح الإسلام والمسلمون هو الشغل الشاغل للإعلام الغربي ، في الأيام التالية لوقوع التفجيرات ، بدأت الصحف البريطانية والأمريكية تتحدث عن شبكة إرهاب إسلامية ربما تكون منتشرة في أوروبا ، وقد ركزت وسائل الإعلام والتقارير الصحفية على

بعد أحداث سبتمبر ، أثمرت نخولاً متواصلاً في الإسلام لم يتوقعه حتى القائمون على أمر الدعوة في الغرب ، وقالت صحيفة « صنداي تايمز » البريطانية في عددها الأسبوعي نقلاً عن الدراسة التي أعدها الباحث البريطاني يحيى بيرت (جوناثان بيرت سابقاً) :

أكثر من ألف بريطاني بينهم عدد من كبار ملاك الأراضي ومشاهير المجتمع اعتنقوا الإسلام ، ورغم قلة الإحصاءات الدقيقة عن عدد الذين اسلموا بعد أحداث سبتمبر إلا أن من المؤكد أنهم أكثر بكثير من أعدادهم فيما يقابلها من السنوات السابقة ، كنتيجة حتمية للتعرف على الإسلام من قرب ، بعيداً عن الصورة المشوهة التي غزاها الإعلام في عقول الغربيين .
مسلموا الغرب والإعلام :

يتقاسم التأثير على عقل الإنسان الغربي اثنان : الأول التربوية المدرسية والثاني الإعلام ، لم يكن الإسلام - كما يعرض في مدارس الغرب - إلا بعض الطقوس والخزعات منسوبة إلى بدوى في الصحراء التقى بعض اليهود والنصارى ونقل عنهم بعض النصائح والإرشادات ، ولم يتوان هو شخصياً عن التمتع بالنساء ، وكانت الحرب هدفاً بالنسبة إليه ، منها يقاتل وعلى هديها يسير .

في جانب الإعلام لا تخرج الصورة عن الإسلام عن المتناول في المدارس ، مع إضافة خاصة بواقع المسلمين المعاصر ، من تخلف ، وأخلاق رديئة ، وحب للدماء ، ويطش بالمرأة ، ومعاداة لحقوق الإنسان ، ووحشية وهمجية قلما يخلو منها مجتمع من مجتمعات المسلمين ، ولا يخلو كتاب أو برنامج تلفزيوني أو مقال ينشر عن الإسلام إلا وتحدث بأسهاب عن الجهاد ، وكأنما أصبحت

من قبل بعض القيادات الإسلامية فى أوروبا ، ولا يكاد يمضى يوم واحد دون برنامج إذاعى أو تلفازى ، وخصصت بعض الإذاعات مساحة زمنية واسعة لبث برامج تضمنت ترجمة معانى سورة كاملة من القرآن الكريم ، مع بيان أهم نقاط الاحتكاك مع الديانات الأخرى وما يتعلق بالجهاد ، وتعددت الملاحق المخصصة للإسلام ، وبعضها بمشاركة أقلام من المسلمين كما حدث فى ألمانيا ، فى الصحف اليومية والاسبوعية الرئيسية .

المسلمون فى أمريكا :

رغم الإشارات المتعددة لحضور المسلمين منذ اكتشاف أمريكا وما أعقبه من جلب للعبيد (منهم بعض المسلمين والذين ذابوا بعد ذلك فى المحيط النصرانى) إلا أن الهجرة الحقيقة بدأت منذ نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، خصوصاً من بلاد الشام ، ثم تباطأت بعد ذلك ، لكن بعد الحرب العالمية الثانية بدأ وصول بعض المسلمين من أوروبا الشرقية والقليل من القارة الهندية .

فى الستينات حدثت فورة فى الهجرة لأسباب اقتصادية ، لكن رافقها الجانب التعليمى لدى بعضهم ، وكان المهاجرون من بلدان عربية وإسلامية مختلفة وفى الثمانينات اندفعت موجات جديدة من العراق وإيران لأسباب إنسانية وسياسية .

وفى التسعينات هاجر بعض المسلمين من ماليزيا وأندونيسيا وكذلك من الهند وباكستان وأغلبهم من التقنيين والعلماء .

أما أصول المسلمين ، فحسب دراسة صدرت عن مركز هارد فورد للأبحاث الدينية فى أمريكا (١٦) فهم كالتالى :

أنباء الاعتقالات وحملات التوقيفات ، التى طالت عناصر إسلامية فى مختلف الدول الأوروبية .. وفى بروكسيل كما أظهرت الصور ، أوقفت الشرطة أربعة أشخاص ينتمون للتيار الإسلامى ، وكذلك أوقفت شخصين فى روتردام بهولندا ، وقامت السلطات فى هامبورج (١٤) بمهاجمة عمارة سكنية يقطنها اسلاميون ، وظهرت لقطات امرأة منقبة تحمل طفلها تسير فى حراسة الشرطة لترد على الإستجوابات المعروضة أمامها ، ورغم ان معظم الأشخاص المقوفين ثبت - فيما بعد - أنه لم يكن لهم أية علاقة بالهجمات على مركز التجارة العالمى ، فإن ذلك لم يحتل أى أهمية تذكر بالنسبة للصحفيين الذين أكتفوا بالإشارة للتوقيفات من دون ذكر نتائج التحقيقات .

ورغم حيادية وسائل الاعلام الغربية - كما تدعى - إلا انه دائماً تميل لمصلحة تشويه الإسلام ، أذاعت القناة الثانية السويدية (١٥) برنامجاً حول الحجاب بمشاركة العديد من المحجبات من أصول عربية وإسلامية ، والعديد من السفارت أيضاً من أصول عربية وإسلامية ، وفيما كانت فتيات مسلمات يدافعن عن حجابهن كانت سافرة إيرانية ترأس تحرير مجلة نسوية مغمورة فى السويد تتهم الحجاب بكونه ليس فريضة إسلامية بل شعار سياسى لمجموعة من المتعصبين الذين لا يؤمنون بالديمقراطية .

وعندما يتصل الأمر بتصحيح ما نشرته وسائل الإعلام فإن كثير من الجرائد الغربية لا تقبل بتاتا نشر مادة تصحيحية لمادة إعلامية نشرت عن الإسلام ، أو قضية تتعلق بالإسلام ، كقضية الحجاب أو الجهاد ومغراه فى الإسلام .

بالطبع ليس الجانب الإعلامى مظلماً دائماً ، فقد أتيج عرض الإسلام أحياناً بطريقة موضوعية

ثلثهم ولدوا في الولايات المتحدة، وهم من بلدان متعددة تصل إلى ٨٠ بلداً .

ونظراً للخلفية الثقافية والعلمية للكثير من المهاجرين المسلمين إلى أمريكا (بخلاف أوروبا) فإن البعد المؤسسي في العمل وتنظيم شؤونهم بدأ منذ وقت مبكر وتطور مع الزمن ، وهي من الكثرة بحيث يصعب حصرها ، فاعلمها جمعيات محلية صغيرة ، لكن هناك بعض المؤسسات السياسية والإسلامية العامة مثل : مجلس الشؤون العامة الإسلامية MPCA ، المجلس الإسلامي الأمريكي AMC ، مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية CAIR التحالف الإسلامي الأمريكي AMA ، التجمع الإسلامي IQNA .

تأسس هذه المؤسسات جاء أيضاً ببدء مرحلة جديدة من مراحل وجود المسلمين في أمريكا ، مرحلة تتخطى الاستجابة للحاجات الدينية والاجتماعية الأساسية ، مثل المساجد والمدارس والمؤسسات الاجتماعية والثقافية ، إلى بناء القوة السياسية والإعلامية للمسلمين الأمريكيين والتحرك الدؤوب لتنفيذ برنامج عمل مشترك وواضح يقوم على أربعة محاور رئيسية هي : (١٨)

١- مكافحة محاولات تشويه صورة الإسلام والمسلمين بالعالم الغربي ، واستبدال الصور السلبية بأخرى إيجابية .

٢- زيادة وعي المسلمين الأمريكيين بحقوقهم المدنية وخاصة فيما يتعلق بحقوقهم في ممارسة دينهم بمختلف المؤسسات العامة الأمريكية، والدفاع عن تلك الحقوق من خلال جهد منظم وعملی .

٣- تشجيع المسلمين الأمريكيين على المشاركة في

عرب ٢٥٪ ، القارة الهندية ٣٣٪ ، أمريكيون أفارقة ٣٠٪ ، أوروبيون مسلمون ٢٪ ، جنوب شرق آسيا ٢٪ ، أخرى ٥٪ .

أما المسلمين السود فقصبتهم تستدعي الإشارة ، عندما أسلم «أليجا محمد» لم يحمل من الإسلام إلا اسمه وبعض الرموز اليسيرة ، وكان يرى الإسلام دين السود ، وهو النبی المرسل لهم .. كانت النقطة لـ «أمة الإسلام» عندما اهتدى «مالكوم إكس» إلى الإسلام وبدأ بالطرح الصحيح للدين ، مما تسبب في مقتله بعد فترة يسيرة ، كان خليفة «أليجا» ابنه قد اكتشف بعد موت والده خطأه صواب «مالكوم إكس» مما دعاه إلى أحداث تغيير في أمة الإسلام نحو النهج الصحيح ، لكنه لم يصادف نجاحاً كبيراً فانقسم الأتباع وبقي بعض منهم على خلافاته ، وضلاله ، لكن الحركة - بوجه عام - بقيت ذات حضور في وسط السود ، وإن غلب عليها التوقع عن بقية المسلمين والانعزال عنهم .

في مدينة نيويورك ، كان الإسلام حاضراً وظاهراً لمدة تزيد عن قرن كامل ، وكانت مقراً لمجموعة متنوعة كبيرة من الجماعات الإثنية ، وكان من بين سكانها المسلمين بحارة سفن تجارية ، وتجار وأصحاب أماكن تسلية ، ومهنيون ، وموظفو شركات وأصحاب مشاريع تجارية رئيسية . شيكاغو ، بولاية إلينوي ، كانت مكان سكن مبكر للمهاجرين المسلمين ، ويدعى بعضهم أنه كان يقطنها عدد من المسلمين في أوائل القرن العشرين أكثر من عدد المسلمين في أي مدينة أمريكية أخرى .

وتشير دراسة أمريكية (١٧) إلى أن من بين الملايين السبعة المسلمين هناك ٣٦٪ معتقدون ٢٧٪ ليبراليون ، ٢١٪ محافظون ، أكثر من

بالطبع منظماتهم أصبحت محل شبهة ، وأعمالهم الخيرية محل إتهام ، وأنشطتهم محل متابعة ، التوسع في تعريف السلوك الإرهابي ليشمل بعض السلوكيات مثل «إرسال أموال لمنظمات إرهابية» والتوسع في تعريف الضالعين في أعمال الإرهاب ليشمل الأفراد الذين ساعدوا من ارتكبوا أو خططوا للقيام بعمليات إرهابية ، سواء كانت تلك المساعدة عن علم أو كانت على غير علم .

التوسع في التخصت الهاتفى والإلكترونى على المشتبه بضلوعهم فى عمليات إرهابية ، مراقبة التجمعات الجماهيرية اليومية ، وتسجيل صور المشاركين فيها وخصائصهم فى قواعد معلوماتية ضخمة ومقارنتها بصور المشتبه بهم الحفاظ على سرية الأدلة التى يتم على أساسها القبض على المشتبه بهم (٢٠) والتحقيق معهم ، خاصة فى قضايا الهجرة .

التعقب والقبض والترحيل للمهاجرين المقيمين بصفة غير قانونية بالولايات المتحدة دون أدلة معلنة ، ودون المرور بالمسار القضائى العادى ، لأن هؤلاء المهاجرين - فى ظن وزارة العدل الأمريكية - أكثر استعداداً للقيام بسلوكيات تضر بالأمن القومى الأمريكى أو تسهيل مثل تلك السلوكيات .

من جانب أشارت صحيفة واشنطن بوست (٢٠٠٢/٥/١٩م) إلى أن العديد من المسلمات أقبِلن على ارتداء الحجاب بعد أحداث سبتمبر ، والسبب الرئيسى هو تعرض الإسلامى للسباب ، وهذه الظاهرة أوضح ما تكون فى الجامعات ، حيث أثارت الحملة الدعائية ضد المسلمين اهتمامهم بدينهم فأسرعن للتعرف على الإسلام وارتداء الحجاب .

الحياة السياسية الأمريكية واستخدام حقوقهم المكفولة دستورياً، خاصة حقوق التصويت وحرية الرأى والتعبير وحرية التنظيم السياسى والترشح لتولى المناصب السياسية .

٤- العمل على التأثير على السياسة الخارجية الأمريكية لتطوير الموقف الأمريكى من قضايا المسلمين المهمة وعلى رأسها قضية فلسطين وقضية كشمير وقضايا الأقليات المسلمة المظلومة فى بلدان كيوغسلافيا السابقة وروسيا .

أنعكاسات أحداث سبتمبر :

كانت الأحداث صدمة للجميع، وبالأخص المسلمين ، لأن من قام بها حسب زعم الإدارة الأمريكية - هم من المسلمين ممن يحملون فكر الجهاد ضد الغرب الكافر وعلى رأسه أمريكا ، بالطبع كان الشأن الأمنى هو الهاجس ، وكان المسلمون مستهدفين .

فى المرحلة الأولى كانت الصدمة والذهول من الحدث مع البحث المضنى عن الفاعل وبواقعه ، المرحلة الثانية : بناء على مارشح من وسائل الإعلام والتقارير الرسمية بارتباط الحدث بمجموعة شرق أوسطية (مسلمة) متطرفة كان رد الفعل الغضب والهيجان الشديد والدعوات المتكررة بالرد العسكرى (ولم تدخر الإدارة وسعاً فى ذلك فقد هاجمت حكومة طالبان وقضت على آلاف الأفغان). أيضاً وقعت إعتداءات على أفراد مسلمين (١٩) (أكثر من ٤٠٠ اعتداء فى الأسبوع التالى لأحداث سبتمبر) أو حتى آسيويين ، نزع حجاب بعض المسلمات ، وتكسير محلات لبعض المسلمين ، وإيذاءات جسدية جسيمة لبعض آخر ، فضلاً عن الازدراء وألفاظ السب والشتم ، وفى أدنى الأحوال التخوف والريبة من المسلمين .

تفعيل دورهم الإعلامي والسياسي في أمريكا لاستئصال جذور العداء للإسلام والمسلمين من المجتمع الأمريكي.

لقد فتحت الأزمة أمام المنظمات المسلمة الأمريكية أبواب أكبر المؤسسات السياسية والإعلامية الأمريكية (٢٢) بل إن الرئيس الأمريكي نفسه التقى بالمنظمات المسلمة الأمريكية مرتين خلال الأسابيع الثلاثة التالية للحادي عشر من سبتمبر، أضف الى ذلك تمييز الرئيس الأمريكي والعديد من مساعديه بين الإسلام وبين مرتكبي الحوادث الإرهابية.

ثانياً: أوجدت الأزمة شعوراً بالتوحد والتحدي داخل المجتمع المسلم الأمريكي، وعلى الرغم من أن التحدي الذي خلقته الأزمة قد يخيف العديدين ويدفع بعضهم الى ترك الولايات المتحدة، إلا أنه زاد من ارتباط العديد من المسلمين والعرب بعضهم بعضاً والتفاهم حول مؤسساتهم، كما ظهر في إقبال المسلمين الكبير على تلبية دعوة منظماتهم ومساجدهم لهم في أكثر من مناسبة أو حدث خلال الأسابيع الأخيرة.

ثالثاً: مثلت الأزمة فترة انقطاع في عقلية المواطن الأمريكي (المسلم وغير المسلم) جعلته يفكر في علاقته بالإسلام والمسلمين بشكل جديد وغير مسبوق، فقد تحدثت جريدة usa today الأمريكية الشهيرة في عددها الصادر يوم السابع عشر من سبتمبر عن نفاذ الكتب المتعلقة بالإسلام والشرق الأوسط من مكتبات الولايات المتحدة، مشيرة إلى اهتمام الأمريكيين المتزايد بمناقشة الإسلام وعلاقة الشعب الأمريكي بأبناء الشعوب الإسلامية....

الأمر نفسه حدث مع العديد من المسلمين المقيمين في الولايات المتحدة، فقد دفعتهم الأزمة

رغم إطلاق بعض المسؤولين عبارات تنم عن التسامح مع المسلمين الأمريكيين أو المقيمين منهم إلا أن الواقع أن هناك العديد من التصريحات العنصرية من أعضاء في الكونغرس وشخصيات دينية (مثل الأب غراهام الذي وصف الإسلام بأنه دين شرير وعنيف ولا يدعو إلى الرب نفسه ، والقس فاينز الذي قال :إن محمد كان شاذاً مع الأطفال ومصاباً بمس الشياطين) ، أيضاً تم احتجاز أكثر من ١٢٠٠ (٢١) عربى ومسلم على خلفية الاعتداءات كما قام FBI بإجراء مقابلات مطولة مع أكثر من ٨٠٠٠ شخص من أصول عربية وإسلامية .

الجانب الإيجابي للأحداث :

بالطبع ليست جميع الأمور سيئة، فالأزمة كان لها وجه إيجابي:

أولاً: كشفت الأزمة عن بعض الإيجابيات الراسخة في علاقة المسلمين والعرب الأمريكيين بمجتمعهم الأمريكي، تمثلت في رسائل التأييد والتشجيع التي تلقتها المنظمات المسلمة والعربية من قبل السياسيين الأمريكيين ، وباقات الزهور التي سارع المواطنون الأمريكيون بوضعها أمام المساجد بمختلف أنحاء أميركا، وبعض التغطية الإعلامية الإيجابية لجهود المسلمين والعرب الأمريكيين في مساعدة بلده أمريكا على الخروج من أزمتها رغم ما يتعرضون له من موجة عداء مضاد مدانة، وأهم من ذلك نشاط المسلمين والعرب الأمريكيين غير المسبوق بمختلف الولايات الأمريكية في تقديم قضيتهم العادلة للإعلاميين والسياسيين الأمريكيين أثناء الأزمة الراهنة، والتفاهم حول منظماتهم المحلية والوطنية، وإحساسهم المتزايد بضرورة

المسلمة، وعلى المنظمات المسلمة وقادتها ، مستخدمة نفس الحجج الواهية التي طالما أستخدمت في الماضي لتشويه السمعة، والتي لا تعدو أن تكون تلاعباً بالألفاظ والأفكار واتباعاً لمنطق اللوبي الإسرائيلي في نقد المنظمات المسلمة الأمريكية **المسلمون في السويد:**

السويد ليست من دول أوروبا القديمة، فهي من دول أوروبا الشمالية المنعزلة وشبه الجزيرة التي تضمها مع فنلندا كانت موطن (الفايننج) الشعوب القبلية المتوحشة والتي عاثت في أوروبا قديماً تخريباً وتدميراً. الوجود الإسلامي في هذا البلد حديث، مقارنة بدول أوروبا ، لكن أحد الرحالة المسلمين وصل منذ بضعة قرون لهذه البلاد ووصف حال أهلها ومدى وحشيتهم.

كانت البداية بعد الحرب العالمية الثانية بأفراد قلائل من التتار لكن في الستينيات بدأت هجرة عمالية كبيرة من الأتراك واليوغسلاف خصوصاً فاق عددهم خمسة عشر ألفاً في نهاية العقد. في السبعينيات ازدادت موجة الهجرة وشملت دولاً عديدة، عربية وإسلامية من بنغلاديش شرقاً حتي لبنان غرباً، حيث تجاوز عددهم الخمسين ألف نسمة.

استمرت الهجرة في الثمانينيات وشملت دولاً جديدة مثل إيران والعراق حتى تجاوز عدد المسلمين المائة وخمسون ألف نسمة. في التسعينيات استمرت الهجرة وشملت البلدان ذات الكوارث مثل الصومال والبوسنة. وبينما كانت الهجرة الأولى عمالية كانت التي تليها سياسية بالدرجة الأولى، والأخيرة نتيجة العوامل الانسانية.

وما تضمنتها من هزة إلى مراجعة المصائر والمؤسسات الإسلامية للبحث عن أجوبة لما أثارته الأزمة من تساؤلات عن الإسلام. **تعدديات سياسية:**

على الجانب الآخر (٢٣) خلقت الأزمة أمام مسلمي أمريكا تحديات سياسية كبيرة، من ذلك: أولاً: أوجدت الأزمة ما يشبه حالة طوارئ غير معلنة تسيطر على تصرفات وعقول المواطنين الأمريكيين، واصبحت مقولة (لا صوت يعلو فوق صوت المعركة) أحد المقولات الأساسية المحركة للرأي العام الأمريكي خلال الفترة الراهنة، وخلال فترات الطوارئ يصعب التنبؤ بالسياسات، وتقل أهمية المحافظة على الحقوق والحريات الفردية، ويبرر السياسيون لأنفسهم سلوكيات كان يستحيل عليهم التفكير فيها قبل الأزمة. وقد صيغت خلال هذه الأزمة العديد من القوانين المتعلقة بتحقيق أمن أمريكا على الصعيدين الداخلي والخارجي.

ثانياً: أوجدت الأزمة (عدو شعبي عام) للشعب الأمريكي وهو المتطرف أو الإرهابي المسلم، الذي أصبح يمثل لرجل الشارع الأمريكي أحدث أساطير العداء والشر ، وقد تستخدم تلك الأساطير لتخويف رجل الشارع الأمريكي البسيط من الإسلام والمسلمين، بل إنها قد تستخدم لتخويف كبار السياسيين من كل ما هو إسلامي أو مسلم.

ثالثاً: الأزمة فتحت الباب للوبي المعادي للإسلام لإخراج ما في جعبته من اتهامات للإسلام والمسلمين، وقد زادت تلك الاتهامات بعد مقابلة الرئيس الأمريكي مع قادة المنظمات المسلمة الأمريكية ، حيث شن هذا اللوبي حملة انتقادات واسعة ضد الإدارة الأمريكية لمقابلتها المنظمات

عدهم وتحسن أوضاعهم العامة وإمكاناتهم ، في الوقت الذي بدأت فيه علاقات المسلمين مع الحكومة والسلطات والأحزاب السياسية تنضج بالتدريج ، خاصة من خلال المجلس السويدي والعديد من الهيئات التخصصية التابعة له .

وسرعان ما تطورت العلاقة الي الحد الذي مكن من المطالبة بالحقوق الإضافية التي يتطلع مسلمو السويد الى التمتع بها، كما بزغت بوادر للمشاركة السياسية للمسلمين، من خلال التعاون المباشر مع الأحزاب ، والعضوية في اللجان التخصصية التابعة للحكومة والوزارات ، خاصة من خلال الوزارة المتخصصة في النظر بتعديل القوانين، حيث تمكن المسلمون (٢٥) من التأثير في العديد من مشروعات القوانين قبل طرحها علي البرلمان.

السويد دولة علمانية، والدين شأن شخصي ، والإلحاد ينتشر، والدين ينحسر، والإسلام يمثل حالياً الديانة الثانية بعد البروتستانتية. القانون يسود الجميع، والدولة تعامل الجميع من مواطنين ومهاجرين على قدم المساواة، ونظراً لكثرة الأجانب أنشأت الدولة وزارة خاصة لادماج هؤلاء المهاجرين في المجتمع.

الحكومة -كما هو واضح في سياساتها- تعامل الاسلام كثقافة وتراث حضاري أكثر منه كدين ، لذلك لا تعطي قيمة بالغة للقيم الإسلامية وتطالب المسلمين بالالتزام بالقيم الغربية بصفتها عماد المجتمع.

يقول مصطفى خراقي، رئيس المجلس الإسلامي السويدي (٢٦) إن سياسة السويد قامت في السابق على تذويب الأجانب في المجتمع وظهر لاحقاً أن هذه ليست بالسياسة المجدية، وخاصة مع المسلمين ، ولذا فقد جري تبني سياسة

ويقدر عبد المسلمين حالياً ٤٠٠ ألف نسمة ، وفي الإحصاءات الرسمية يجاوز ٣٥٠ ألف نسمة، حيث يمثل المسلمون ٦٪ تقريباً من عدد السكان الذي يقارب التسعة مليون نسمة.

تم تأسيس أول اتحاد إسلامي في مدينة مالمو جنوب السويد عام ١٩٧٥ (٢٤) واعترفت الحكومة به رسمياً مع تكاثر المسلمين وتنوع مذاهبهم وأعراقهم وبلدانهم شكلوا العديد من الجمعيات الإسلامية للحفاظ على هوياتهم وجمع شتاتهم، لكن الحكومة السويدية اعترفت بثلاث جمعيات فقط بناء على تقصي لواقع هذه الجمعيات، وهي: رابطة الجمعيات الإسلامية في السويد إتحاد مسلمي السويد، واتحاد المراكز الثقافية الإسلامية، وتم تشكيل مجلس تعاوني يضم هذه المؤسسات للاستفادة من الدعم المالي الذي تقدمه الحكومة لهذه الجمعيات.

وتوج النشاط الإسلامي بافتتاح المركز الإسلامي والمسجد الجامع في العاصمة استوكهولم منتصف ٢٠٠١م وسط ترحيب شعبي وحفاوة رسمية واهتمام إعلامي بالغ. لقد كان لهذا الصرح الشامخ أثره الملموس ، حيث المشاركة الرسمية في الافتتاح، ملاذا للصلاة والدعاء وواحة للحوار والتفاهم بين الجميع. حتى الكنيسة السويدية رحبت بافتتاح المركز، حيث إنه سيساهم في منح الدين المزيد من الحضور على المستوى العام في مجتمعات الشمال، حسب وصف المطران (هام)

وتوافد السويديون على المركز حتى فاق الزوار الأربعين ألفاً خلال الستة أشهر الأولى التي أعقبت الافتتاح.

وقد شهد العمل المؤسسي في صفوف مسلمي السويد قفزات بارزة في الثمانينيات مع تزايد

مدينة سويدية من مدرسة عربية إسلامية أو من حضارة إسلامية . ومن جهة أخرى فإن أبناء العرب والمسلمين الذين يدرسون في المدارس السويدية تقدم لهم وجبات طعام إسلامية حفاظاً على معتقداتهم كما يعطي أبناء المسلمين دروساً في اللغة العربية حتى يحافظوا على اللغة الأم. وتندرج هذه السياسة في نطاق ما يعرف في السويد بمجتمع متعدد الثقافات والمعتقدات.

ويحق للمسلم أن يلجأ إلى المحاكم إذا شعر أن هناك استهدافاً لدينه وعقيدته على صعيد البرامج الإعلامية والثقافية وغيرها.

إلا أن المسلمين هناك يواجهون، كغيرهم من مسلمي شمال أوروبا على وجه الخصوص، مجتمعاً منفتحاً يعاني من الترف وما يتبعه من انحرافات أخلاقية كالشذوذ، والدعارة المنظمة والروابط المفككة، وعليه أن يتعامل بصبر وأناة مع تلك المشكلات للتغلب عليها، وإلى جانب ذلك فإن المسلمين يواجهون أيضاً مشكلاتهم الداخلية التي تلاحقهم في كل شبر من خريطة العالم، ونعني بذلك فرقة الصف ، والخلافات الداخلية التي ترجع إلى أسباب مذهبية أو قومية، وأحياناً لغوية.

فالأتراك لهم مساجدهم وتجمعاتهم، ومسلمو الصومال عالم قائم بذاته، وكذلك عرب بلاد الشام، فضلاً عن الإيرانيين والأكراد ، وحتى مسلمي الباكستان وبنغلاديش. الفرقة قد تكون أكبر مشكلة تواجه المسلمين، فهم يتحركون ككيانات وليس كتجمع واحد، مما يجرح الحكومة في التعامل معهم، كذلك هناك الانغلاق عند بعضهم والعيش في أحياء مغلقة كتلك التي في ضواحي العاصمة.

التعثر الاقتصادي في البلد انعكس أثره بشدة

أخرى هي الاندماج الإيجابي التي تعني الحفاظ على الهوية الذاتية مع الانفتاح على المجتمع ، وقد تشكلت وزارة باسم وزارة الاندماج تتولي التعامل مع الأجانب ككل. والحصول على الجنسية السويدية للمسلم (وغيره من المهاجرين) يكتسب بعد الإقامة لمدة خمس سنوات، وحتى قبل ذلك يحق للمهاجر المشاركة في الانتخابات البلدية وتلقي الاعلانات مثله مثل السويدي.

والواقع أن المسلمين لم يجدوا صعوبة في أداء مناسكهم ، وإحياء شعائرهم الإسلامية، وإقامة مساجدهم ، على امتداد المحافظات السويدية، فالبرلمان السويدي أقر قانون حرية الأديان وحق أصحاب الديانات في أداء مناسكهم كاملة دون خوف من أحد، ولتأمين هذا الحق أوجد البرلمان السويدي قوانين رادعة لمن يقفز على هذا القانون، الذي استفاد منه كل الأقليات.

في الجانب الثقافي، تولي الحكومة اهتماماً بالمهاجرين، ومن خلال ميزانية تتجاوز عشرات الملايين من الدولارات تحصل الجالية الإسلامية (كثقافة وجنسيات) على الكثير من الدعم .. بل حتى صحف ومجلات المهاجرين (ومنهم المسلمون) تحصل على دعم وزارة الثقافة السويدية.

ونظراً لاهتمام الحكومة السويدية بالإسلام، فقد خصصت (٢٧) مبلغ ٣٠٠,٠٠٠ كرونة سويدية لترجمة جديدة لمعاني القرآن الكريم ، وكانت وزيرة الخارجية قد صرحت قائلة: إن الإسلام في طريقه ليصبح ديناً سويدياً مثل المسيحية واليهودية.

كما أن وزارة التربية والتعليم تقدم دعماً مالياً كبيراً للمدارس العربية والإسلامية، ولا تخلو

وأكسل جالية في السويد هي الجالية العربية ، إذ أن أفراداً عديدين من أبناء الجالية العربية يقدمون شتى الأعذار لمكتب العمل ومؤسسة الضمان والمؤسسة الاجتماعية آخر الشهر ، وهكذا دواليك إلى آخر حياتهم .

كما ظهرت أفكار متطرفة تعتبر السويد دار حرب يحل بها كثير من الأشياء المحرمة بطبيعتها ، مثل السرقة والغش والخداع والربا والطلاق بنية تحسين الوضع المالى مع استمرار العشرة الزوجية ، بدعوى أن الطلاق في المحاكم السويدية لا يقع .

وفى الوقت الذى تعترف فيه النخبة المثقفة في السويد بحضارية الإسلام ، إلا أن بعض المحسوبين على العالم الإسلامى أعلنوا إحداهم وكفرهم ، وباتوا في طليعة الدعاة إلى حرمان المسلمين من ممارسة شعائهم في السويد ، ومن هؤلاء من دعا إلى حظر الحجاب في السويد وتحديداً على بنات المدارس من المسلمين ، علماً أن مبدأ حرية الأديان هو مبدأ مقدس في السويد وبموجبه يحق أتباع الديانات أن يمارسوا شعائهم دون تفرقة عنصرية .

ويضاف إلى ذلك أن إقدام المثات من المسلمين على الجنج والإجرام والصرعات والسطو والاتجار بالمخدرات والتحايل على مؤسسات الدولة السويدية ، وعدم البحث الجاد عن العمل ، والاكتفاء بالعيش على حساب المؤسسات الاجتماعية ، أدى إلى بلورة صورة سلبية عن الإسلام .

في الجانب السياسى ، فإن مشاركة المسلمين محدودة جداً ولا تناسب مع عددهم السكاني ، وجزء من المشكلة ثقافي .

والجالية المسلمة تفتقد لرؤية واحدة أو مشروع

على المسلمين ، فالفقر بدأ ينخر بينهم، وطابور العاطلين منهم يصل الى عشرات الألوف . وهذا الأمر ليس قاصراً على أصحاب المهن اليدوية البسيطة بل حتي أصحاب الكفاءات العلمية يعانون بشدة لدرجة اضطرار بعضهم للعمل برواتب متدنية وبظروف قاسية ، بل إضطر بعضهم إلى تغيير أسمائهم إلى أسماء سويدية للحصول على فرص عمل ، وهناك أسباب مهنية وليست عنصرية تمنع بعض الكفاءات من الحصول على فرص عمل مناسبة كالإعتراف بالشهادة العلمية والخبرة العملية وإتقان اللغة السويدية .

في الجانب الثقافى ، بدأ يدب في أبناء المهاجرين الانفلات الأسرى والمخدرات - رغم حرص جيل الآباء - ولذلك تكررت حوادث الشرف (الانتقام والقتل) تجاه الأبناء (البنات بشكل خاص) اللواتي أثرن العيش مع أصدقائهن من الشباب السويدي ، وتجاوزت قضايا القتل والضرب ومحاولة القتل المعروضة أمام المحاكم السويدية العشرات .

في الجانب الفقهي ، هناك اختلافات وأسعة بحسب خلفية الجالية ومذهبها / فهناك تباين في مواعيد الصلاة بالذات ، العشاء خصوصاً ، في الصيف ، حيث لايتجاوز الليل ثلاث ساعات ، وحتى الانشطار المذهبي تم نقله إلى السويد ففى العاصمة استكهولم ، على سبيل المثال ، يوجد مسجد للسنة ومسجد آخر للشيعه ، حتى أن السلطات السويدية احتارت في بداية الأمر ، لماذا ازداد حجم الظاهرة الإسلامية مع من تتعامل ، وتسألت عن يمثل المسلمين 119

وما يؤسف له حقاً تندر بعض المثقفين العرب في السويد بتقرير سويدي يتحدث عن أن فشل

وعلى وجودهم بشكل عام فى السويد وقد سارع المسؤولون السويديون (٢٨) فى بعث العديد من الرسائل السياسية إلى المسلمين عبر وسائل الإعلام السويدية المرئية والسمعية والمكتوبة، كما أن وزيرة الإنذماج السيدة «منى سالين» قامت بزيارة إلى مسجد ستوكهولم المركزى والتقت بالمشرفين على المسجد وطالبت فى كلمة لها المسلمين السويديين بإداء شعائهم وممارسة واجباتهم الدينية دون خوف أو رعب من أحد لأن القوانين السويدية المركزية تولى الحريات الدينية أهمية كبيرة ، وبعد ذلك قررت وزيرة الخارجية السويدية السيدة «أنا ليند» أن تطبع وزارة الخارجية كتاباً للتعريف بالإسلام يتم توزيعه على الطلاب السويديين الذين يجب أن يعرفوا ان نصف زملائهم من المسلمين ، ويجب أن يعرفوا أن دينهم الإسلامى متسامح وحضارى ، كما ورد فى الكتاب الذى طبع منه ٣٠٠,٠٠٠ نسخة ، كما أن السلطات السويدية لم تقطع مساعدتها المادية عن المدارس العربية والإسلامية والمساجد المنتشرة فى كل المحافظات السويدية .

والسويد لم تتأثر بزوابع سبتمبر عدا بعض التحقيقات التى أجرتها الأجهزة الأمنية مع بعض الأشخاص ، الذين كانوا يجمعون أموالاً لتنظيم «القاعدة» وتجميد حساب جمعية البركة الصومالية بامر من الولايات المتحدة الأمريكية بتهمة علاقة هذه الجمعية المالية التى تقوم بتحويل مبالغ مالية من المهاجرين الصوماليين فى السويد وإلى ذويهم فى الصومال ، ولم تسجل اعتقالات على الإطلاق فى الوسط الإسلامى ، كما حدث فى أمريكا .

وقد استمرت المدارس العربية والإسلامية

واحد يخدمها كتلة ، وهى تفتقد الأحزاب السياسية - رغم إمكانية تكوينها - التى تمثلها وتعبر عن قضاياها رغم حرص الدولة على مشاركة المهاجرين السياسية كجزء من حرص على إدماجهم فى المجتمع ، أيضاً تفتقد الجالية المسلمة المناير الإعلامية التى تعبر عنها وتتكلم باسمها ، رغم الدعم المادى المتوافر من وزارة الثقافة لمثل هذه الأعمال .

ورغم انتشار الإلحاد وضعف النصرانية فى السويد إلا أن الشأن الثقافى ذو أهمية بالغة ، وهذا يتضح من عدد الكتب المنشورة والصحف الصادرة ، فضلاً عن وسائل الإعلام المرئية و المسموعة والمقدرة بالعشرات .

المجتمع السويدى يعيش - كالكثير من المجتمعات الغربية - حالة إنهاء اجتماعى وتفكك أسرى وانتشار المخدرات ، لذلك فهو فى أمس الحاجة إلى دين يهدى وعقيدة تمنحه الاطمئنان (وهذا ما تفقده النصرانية اليوم) مما جعل الإسلام فى السويد محل اهتمام ومتابعة من الشعب السويدى ، يقول «بن سامويلون» المستشرق السويدى فى كتاب له عن الإسلام فى السويد : بأن الإسلام أصبح حقاً ليس ضمن المعادلة السويدية فحسب بل بات جزءاً من المعادلة الأوروبية .

والإشكال ، كما يقول بعض المثقفين السويديين : ليس فى الإسلام ، بل فى المسلمين ، الذين لم يقدموا النموذج الناصع لدينهم ، فهم - أى المسلمين - بدل أن يعطونا محاسن حضارتهم أعطونا مساوئ مجتمعاتهم ، وبدل أن يأخذوا منا المحاسن أخذوا منا المساوئ وتلك المفارقة !!

عندما وقعت أحداث الحادى عشر من سبتمبر فى الولايات المتحدة الأمريكية أصيب المسلمون فى السويد بارتباك شديد خوفاً على مستقبلهم

وقد أدى شعور مسلمي السويد بأنهم مستهدفون أيضاً وأن دورهم قد يأتي في أى لحظة ، إلى مشاركتهم المكثفة في ترشيح أنفسهم للانتخابات التشريعية السويدية ، وهى مشاركة لم يسبق لها مثيل في تاريخ السويد ، ولسان حال كل المرشحين العرب والمسلمين هو الدفاع عن القضايا العربية والإسلامية تحت قبة البرلمان السويدي ، كما أن علاقة المسلمين بوسائل الإعلام تضاغت ، الأمر الذى أدى إلى تخصيص كبريات الصحف السويدية صفحات عن الإسلام والمسلمين ، ويوجد إلاح من قبل النخب السياسية الحاكمة والمثقة في السويد على ضرورة أن يسود مبدأ حوار الحضارات وتحديداً بين الإسلام والغرب ، ومعروف أن السويد استضافت مؤتمراً بهذا العنوان سنة ١٩٩٤ م .

المسلمون في فرنسا :

إذا كانت السويد نموذجاً أوربياً فريداً في التسامح تجاه المسلمين ، فإن فرنسا على العكس ، من أسوأ النماذج الأوربية تجاه المسلمين ، رغم العلاقة القديمة خصوصاً مع المغرب العربى . يعود بداية الوجود الإسلامى فى الأراضى الفرنسية إلى عام ٧١٦ م (٣٠) ، عندما دخلت أول مجموعة من الجنود المسلمين العرب القادمين من الأندلس ، بعد أن قطعوا جبال البيرنييه ، إلى مدينة ناربون ، ووضعوها تحت الحماية الإسلامية ، وتم تحويل كاتدرائية المدينة إلى مسجد (هدم فيما بعد) وفى عام ٧٢١ م ، وصلت القوات الإسلامية بقيادة السميع بن مالك إلى مشارف مدينة تولوز الفرنسية ، واشتبكت مع قوات الكونت أود الفرنسى ، وبعد ذلك بخمسة أعوام وصلت القوات المسلمة إلى مدينة ليون وسط فرنسا ، واستولت فى عام ٧٣١ م على

فى أداء عملها بكل حرية وبدون تدخل من السلطات السويدية وكأن شيئاً لم يحدث ، بل حتى اتباع تنظيم القاعدة فى السويد ، الذين أحصت المخابرات السويدية عددهم بخمس عشر شخصاً (٢٩) لم يجر اعتقالهم رغم أنهم تدربوا فى أفغانستان ، وقد نقلت صحيفة إكسبرس نقلاً عن باتريك جوتون المسؤول فى المخابرات السويدية أن المنتمين إلى القاعدة لن يجرى اعتقالهم ، لأنهم لم يخرقوا القوانين السويدية ، وقد طالبت بعض الأحزاب السويدية بسحب السفير السويدي فى واشنطن بسبب السويدي المعتقل في «غوانتانمو» وهو من أصول جزائرية والذى ترفض واشنطن إطلاق سراحه رغم الطلب السويدي الرسمي بضرورة تحريره أما على الصعيد الشعبى فقد أقبل آلاف السويديين على دراسة الإسلام ، إلى درجة أن معاهد الدراسات الشرقية والإسلامية باتت مكتظة ، يجب على أى طالب حجز مقعد قبل سنة من بداية العام الدراسى ليحظى بدراسة الإسلام ، وخصوصاً بعد أن أصبح الإسلام والمسلمين مادة إعلامية يدعى لمناقشتها فى وسائل الإعلام الرسمية أكفا المتخصصين من السويديين والعرب .

وعلى صعيد الجالية العربية والإسلامية ، فقد نضج وعى إسلامى جديد وسط هذه الجالية ، وبدأ يترسخ مبدأ الانتماء الحضارى للإسلام ، وقد تمثل ذلك فى الإهتمام المتزايد بأخبار العالم العربى والإسلامى وحسن المتابعة لتطورات الأحداث فى البلاد العربية والإسلامية ، كما تمثل فى الإقبال المتزايد على المساجد والمدارس العربية والإسلامية ، والمشاركة الفعالة فى التظاهرات المناصرة للقضية الفلسطينية ، التى بات يشارك فيها آلاف السويديين .

الجسور والطرق والافتاق، وأنها في السلم الوظيفي من قبيل التنظيف والصيانة والحراسة، وقد عاش هؤلاء معاناة قاسية تمثلت في البداية أن يعيش المهاجر بمفرده بعيداً عن عائلته ونويه، وما ينجم عن ذلك من مضاعفات على الصعيدين النفسي والاجتماعي.

وبقي الأمر كذلك حتى صدر قانون «التجمع العائلي» الذي يبيح لأفراد عائلات المهاجرين الانضمام إليهم، وكان ذلك نتيجة مطالبات منظمات إنسانية ونقابية احتجاجاً على الوضع المأساوي الذي يعيشه هؤلاء العمال.. وعلى الرغم من إصدار هذا القانون، فإن حياتهم تحولت إلى معاناة من نوع آخر، تمثلت في حشر عدد كبير منهم في مجتمعات سكنية مكتظة ومعزولة لا يتوفر فيها أدنى متطلبات الحياة، وما زاد من تفاقم مشكلة هؤلاء المهاجرين، حياة التردد التي سادت في أوساطهم بين أن يعود المهاجر إلى وطنه وأن يبقى على مضض في البلد المهاجر إليه، ولكن الظروف كانت قد أملت على معظمهم البقاء في تلك البلاد والاستقرار فيها.

ويتراوح عدد أفراد الجالية الآن، ما بين ٦٥ ملايين، معظمهم من الجزائر والمغرب وتونس، وتوجد بعض التنظيمات العربية والإسلامية في فرنسا، أهمها اتحاد المنظمات الإسلامية الذي تأسس عام ١٩٨٣م، ويضم ٢٠٠ جمعية إسلامية، تقوم بالدفاع عن المهاجرين العرب والمسلمين أمام السلطات الفرنسية، والرد على عنصرية بعض المؤسسات الفرنسية المعادية للأجانب.

ومشكلة العرب في فرنسا، هي كثر الخلافات بين الجمعيات التي يشكلونها (٣١) والتي تكون في معظم الأحيان قائمة على أساس قطري، لأن كل جالية عربية تشكل جمعية باسمها تكون مرتبط

مدينة بوردو، إلا أن الكونت أود تحالف مع شارل مارتل، وهزموا القوات الإسلامية بالقرب من مدينة البواتيه في أكتوبر من عام ٧٣٢م وتوقفت الفتوحات الإسلامية في الإراضى الفرنسية، ونقل بعض الأسرى العرب إلى شمال فرنسا، واستقروا فيها، واعتبروا بمثابة أول الوجود العربي المسلم الفعلي الذي استقر في فرنسا.

كما حدثت هجرة عربية أخرى إلى فرنسا، بعد سقوط الأندلس، حيث هاجر حوالي ١٥٠ ألف عربي، استقروا في جنوب فرنسا.

وأما الهجرات الحديثة، فقد بدأت منذ مطلع القرن العشرين بسبب الحروب الاستعمارية الفرنسية في المغرب العربي، ووصل طلائع العمال العرب من الجزائر والمغرب ما بين ١٩٠٠م-١٩٠٥م وبلغ عددهم حوالي ٣٠ ألفاً وكانت السلطات الفرنسية تشجع هجرة العمال خلال الحرب العالمية الأولى، بسبب حاجتها لهم للعمل في مصانع الأسلحة، والاستفادة منهم في حروبها الاستعمارية في الهند الصينية وأفريقيا والنورماندي، وعمل العمال العرب في وظائف دنيا، ويقال بأنهم هم الذين حفروا أنفاق المترو الضخمة في باريس وليون، وارتفع عدد أفراد الجالية العربية ما بين الحرب العالمية الأولى والثانية إلى ١٣٢ ألف نسمة، مما دفع الحكومة الفرنسية إلى بناء مسجد في وسط العاصمة الفرنسية في عام ١٩٢٦م.

كانت السمة الغالبة لهؤلاء المهاجرين عدم التخصص العلمي، وضعف الوعي السياسي، وقلة الزاد الثقافي والديني، ونتيجة لهذه المواصفات، أُلقيت على الجيل الأول أعباء القيام باقتصاديات فرنسا، وخاصة في مجال إقامة

جانب حرية لبس الزى الإسلامي وأكل اللحم الحلال وبناء المساجد والمقابر الخاصة بموتى المسلمين ، والحق في بناء المدارس الإسلامية .

ولكن ما تحقق لم يبلغ مشاعر القلق والخوف المتبادل بين المسلمين وبعض التيارات السياسية الفرنسية ، وهذا ما بانت ملامحه بوضوح في أعقاب فوز من وصفوا بأنهم اصوليون في انتخابات مجلس إسلامي يمثل المسلمين في فرنسا الكاثوليكية ، حيث عبر وزير الداخلية «نيكولاس ساركوزي» وقتها عن هذه المفارقة ، من أن بلاده لن تسمح بأن يتحول المجلس الجديد المنتخب إلى مأساه مكانا للإسلام الثوري ، وهو يقصد الإسلام الذي يحتفظون له بصورة سلبية في أذهانهم ، وتصويره على أنه يرتكز على العنف وممارسة الإرهاب ضد (الآخر) ولذلك فإن القوانين الإسلامية - برأيه - لن تطبق في أي مكان لأنها ليست قوانين الجمهورية الفرنسية .

عانى المسلمون في فرنسا (٣٥) من مشكلات متعددة طوال السنوات الماضية ، وكانت الجالية الإسلامية من أكثر الجاليات تعرضاً للإضطهاد ، وواجه عدد كبير من أبنائه اتهامات متباينة ، سواء من قبل اليمين المتطرف بزعامة «لوبان» الذي نادى بطردهم ، أو من قلب اللوبي اليهودي الذي أصبح قلقاً من تنامي المسلمين في المجتمع الفرنسي ، وتغلغل مجموعة اليهودي الذي أصب قلقاً من تنامي المسلمين في المجتمع الفرنسي ، وتغلغل مجموعة كبيرة من أبنائهم في النسيج الوطني ، من خلال احتراف بعض المهن العلمية الدقيقة أو المشاركة في تنمية الاقتصاد الوطني ، عبر عدد من المشروعات الاقتصادية والتنمية ، الأمر الذي يتقاطع مع الصورة التي أراد أعداء الإسلام الترويج لها ، وتقوم على اتهام

بالدولة الأم ، بما أنه توجد خلافات بين تلك الدول ، فإنها تنعكس على أبناء الجاليات العربية في المهجر وعلى علاقتهم مع بعضهم بعضاً .

إلى جانب ذلك يوجد نوعان من الجمعيات : الأول يتكون من المعارضين لنظام الدولة العربية القادمين منها ، والذين هاجروا إلى فرنسا لأسباب سياسية وهرباً من النظام السياسي الموجود في الدولة الأم ، والثاني ، من الذين هاجروا إلى فرنسا لأسباب إقتصادية ويريدون استمرار العلاقة مع دولهم ، وهذا يؤدي إلى إضعاف الجمعيات العربية ، وبفتت قدرتها على التصدي للتحديات التي تواجهها في المهجر .

منذ أكثر من ٢٠ سنة (٣٢) ووزارة الداخلية الفرنسية تطالب بإنشاء هيئة مركزية تمثل المسلمين ، لأن الدولة الفرنسية متعودة على العلاقات مع الكنيسة التي تضبط كل من الأمور الدينية وتحترق القضايا الدينية .

يقول د. فؤاد العلوي ، الأمين العام لإتحاد المنظمات الإسلامية في فرنسا (٣٣) كانت هناك محاولات عدة لتنظيم وضع الإسلام والمسلمين في فرنسا ، وكل هذه المحاولات باءت بالفشل ، والمبادرة التي قام بها وزير الداخلية لإيجاد هيئة تمثيلية للمسلمين ، مثلت مرحلة طويلة من المفاوضات يقول د. محمد بشاري رئيس الفدرالية العامة لمسلمي فرنسا (٣٤) الغرض من إنشاء هذا المجلس هو إيجاد مجلس تمثيلي للدين الإسلامي يمكن أولاً أن يكون المخاطب الأساس للحكومة الفرنسية ، والسهل على تنظيم احوال المسلمين في ممارستهم للشعائر التعبدية ، ولماذا وزارة الداخلية ؟ لأنها الوزارة المكلفة بالأديان ، وتنص بنود الاتفاقية على حق المسلمين في حرية الدين وممارسة شعائر دينهم في أمان تام ، إلى

ببناء مساجد في دولة علمانية.

ويهدف الرسميون الفرنسيون من وراء حملتهم لتطويق ظاهرة الحجاب إلى إنماج المسلمين بشكل كامل في المجتمع الفرنسي والثقافة الفرنسية ، وهذا ما يفسر فتحهم كل الأبواب للمطربين والممثلين والفنانين والكتاب من أصل مغربي ومسلم من الذين انسخلوا عن قيمهم الحضارية ومبادئهم الإسلامية وصاورا أكثر إنحرافاً في مسلكيتهم الأخلاقية من الفرنسيين ليكونوا قدوة للأجيال الإسلامية المهاجرة والمولودة في فرنسا .

وطردت فرنسا في الشهر الماضي إماماً فرنسياً لقوله : إن الإسلام يسمح للأزواج بضرب زوجاتهم غير المخلصات ، وطردت إماماً آخر ، لأنه قدم مواعظ عن الإسلام الأصولي ودافع عن تفجيرات قطارات مدريد .

ويقول الخبراء (٣٨) إن حوالي ١٠ في المائة من الأئمة بفرنسا مواطنون فرنسيون ، وحوالي نصف الأئمة في البلاد يتحدثون الفرنسية ، ومعظمهم يأتون من دول عربية حيث تدرب بعضهم على وجهات نظر إسلامية تتصادم مع القوانين العلمانية الفرنسية ، المستقبل الإسلامي ليس سيئاً تماماً ، فهناك ما يقارب ٢٠٠٠ مسجد ومصلى ، منها الضخم ومنها الصالات الصغيرة ، وهناك حركة وعي وعودة للإسلام بين المسلمين على أداء فروضهم وواجباتهم الدينية ، أصبحت الظاهرة الإسلامية في فرنسا ملفتة للنظر ، بل إن المسلمين أصبحوا رقماً مؤثراً في المعادلة السياسية الفرنسية ، لكن الدوائر العلمانية ، سواء في مراكز القرار أو الإعلام ، استطاعت تشريع قانون منع الحجاب في المدارس كجزء من ردة الفعل تجاه التحرك الإيجابي للإسلام في

الإسلام والمسلمين بممارسة العنف والحض على التطرف وحصره في دائرة ضيقة لا تخرج عن الشعائر والعبادات .

ومن المشكلات التي يعانيها المسلمون هناك الضغوط الرسمية للإندماج ، بمعنى التزام قيم العلمانية وعدم إظهار الشعائر الإسلامية وسط الفرنسيين ، وهذا ما توج بقانون منع الحجاب في المدارس الفرنسية الذي يرى أنه يناهض قيم الدولة العلمانية وتم تنفيذ هذا القانون بكل صرامة .

وإذا كانت الحكومة والمعارضة في فرنسا تتواجهان حول كل شيء تقريباً ، فإن قرار المجلس التآدي (٣٦) بفصل اختين محجبتين (من أب يهودي وأم جزائرية) ، كان موضع ترحيب من الحكومة والمعارضة الاشتراكية على السواء ، ولم تسمع أصوات الاحتجاج إلا من قبل منظمات الدفاع عن حقوق الإنسان ، علماً بأن أكثر من ٩٠٠ حالة طرد لفتيات محجبات تمت خلال عام واحد .

وفي ضواحي المدن تعيش الغالبية العظمى من الجالية الإسلامية في «غيتوهات» عنصرية ، تجد أن مدارس الأطفال الفرنسيين ، تعاني تدنياً في الخدمات التعليمية وفي مستويات الدراسة والإهمال الإداري مما يرفع من نسب الإخفاق المدرسي وكثرة المشاكل .

فرنسا هي الدولة الأوروبية الوحيدة التي ترفض منح المسلمين موافقات لبناء مساجد لهم وتشير الإحصاءات إلى عشرات الطلبات لبناء المساجد تنتظر منذ سنوات دون موافقة البلديات المعنية ، كما أقدم أحد رؤساء البلديات على هدم مسجد كبير بالبلدورز ، أما رئيس بلدية نيس فقد كتب صراحة (٣٧) "ضقت نزعاً بالمسلمين ولن أسمح

فرنسا .

والخروج من عزلة التميز في العقود الماضية والعمل على تواصل اجتماعي من خلال انفتاح متوازن .

غير أن المشكلة تكمن في ان حكومات بعض البلدان الأوروبية لا تعرف من تخاطب من المسلمين ؟ فالكل يدعى أنه يمثل الإسلام والكل ينشئ مؤسسات بمسميات إسلامية ، كما أن كثيراً ممن يدعون إلى الإسلام في الغرب قد يعانون من الجهل بالإسلام (٤٢) سواء في فهمه أو تدريسه أو سبل تكييف الإسلام مع الواقع .

لذلك يمكن القول : إن المسلمين في الغرب يواجهون في المرحلة المقبلة عدداً من المخاطر في وقت واحد (٤٣) :

توجيه ضربات محتملة إلى مكامن قوة الوجود الإسلامي في الغرب ، لاسيما في ميادين التنظيم والتواصل مع البلدان الإسلامية والميدان المالي . نشر موجة جديدة من المخاوف من الوقوع في شبهة «الإرهاب» في أوساط المسلمين لعزل العمل التنظيمي الضروري عن مصدر الطاقة البشرية التي تمثل عموده الفقري .

مضاعفات سلبيات العلاقات المتفاوتة مابين الإهمال والاحتواء والخصومة وحتى الملاحقة ، بين قطاع كبير من الوجود الإسلامي في الغرب وحكومات البلدان الإسلامية ، وذلك من خلال توظيف «شبهة الإرهاب» في تعزيز التناقضات القائمة من الأصل بين تلك الحكومات - لأسباب عديدة معروفة - وسواد القائمين على العمل الإسلامي من الوافدين إلى الغرب خلال العقود الماضية .

إحداث نكسة يمكن أن تكون مستهدفة بحد ذاتها على طريق تطور فعالية الوجود الإسلامي في الغرب وما تحقق عبر الفترة الماضية من تقدم

ونكرت مجلة «لوموند» الفرنسية في استطلاع لها أن ٦٩٪ (٣٩) من الشعب الفرنسي يهتمون الآن بالإسلام ، وإن أكثر من ٥٠٪ منهم يعتقدون أن محمداً (ص) نبي مرسل .

في السنوات الأخيرة أخذ الإسلام ينتشر بين الأوساط الفرنسية (٤٠) إلى درجة أن الذين اعتنقوا الإسلام من الفرنسيين بلغ ٤٠,٠٠٠ فرنسياً من مختلف الاتجاهات والشرائح ، وجزء لا بأس به منهم أسلم بعد أحداث سبتمبر

مستقبل المسلمين في الغرب :

من المستبعد أن يصبح مستقبل الوجود الإسلامي في الغرب «مظلماً» على المدى المتوسط أو البعيد ، بل على النقيض من ذلك ولأسباب عديدة (٤١) في مقدمتها ما يمكن وصفه بالمناعة الذاتية ، وهي من العوامل الرئيسة التي سبق وحافظت على وجود المسلمين ورسخت هويتهم الإسلامية داخل الغرب ، مابين مرحلة الضياع أو الضعف الشديد إبان الحرب العالمية الثانية والوقت الحاضر ، أي في حقبة لم تنقطع خلالها سلسلة المخاطر المتوالية التي هددت الوجود الإسلامي من الأساس ، من خلال الجهود المبذولة لتذويب المسلمين في المجتمع ، عقدياً وثقافياً وسلوكياً ، فضلاً عن الجهود المباشرة للقوى الكنيسة والعلمانية للتضييق على العمل الإسلامي ، ويمكن تسجيل بعض المؤشرات الإيجابية :

ارتفاع نسبة المسلمين من ذوى الأصول الغربية ارتفاعاً مطرداً .

ارتفاع التوجه الإسلامي في صفوف الصغار .

ارتفاع نسبة العاملين في مواقع اجتماعية واقتصادية ذات تأثير كبير .

تطور العمل الإسلامي في اتجاه التقارب ،

صراعات داخلية ، تجعل أوروبا ضعيفة أمام التحديات الدولية ، ولقد كشفت استطلاعات للرأى عن تنامى أنصار الحركات العنصرية فى أكثر من بلد أوروبى بالرغم من أن هذه الحركات لم تصل بعد فى العديد من الدول الأوروبية إلى أن تصبح خطراً داهماً ، فإن التوقعات تشير إلى أنه سيكون لهذه الحركات المتنامية خطر حقيقى فى السنين اللاحقة إذا لم تتخذ الإجراءات الكافية للوقوف فى وجهها .

علاقة المسلم بغير المسلم :

يقرر الإسلام العلاقة بين البشر (٤٦) بانها للتعارف ، يقول المولى عز وجل : ((يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير)) (الحجرات ١٣) وأن تعايش المسلم مع غير المسلم ليس بمستنكر مادام فى إطار العلاقة العادية دون تهديد للمسلمين أو إعتداء على الدين وبين سبحانه وتعالى أساس هذا التعايش بقوله : ((إِيَّاكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)) (الممتحنة ٨) بل قد يتطور التعايش إلى أن يكون تعاوناً إذا كان الداعى له أمر خير ونفع للناس ، يقول رسول الله (ص) ((لقد شهدت فى دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لى به حمر النعم ولو ادعى به فى الإسلام لأجبت))(٤٧)

وقرر الإسلام علاقة القومية والوطن ، بمعنى انتماء الإنسان إلى بيئته وبلده ، مالم يتحول الآخرون إلى أعداء هذا الدين ومحاربين له ، لذلك وصف القرآن بعث الأنبياء إلى أقوامهم بالأخوة (الإنسانية) ((وإلى عاد أخاهم هودا)) (الأعراف ٦٥) (هود ٥٠) ((وإلى مدين أخاهم شعيبا))

لموس فى صفوف العمل الإسلامى ، وظهور البوادر الأولى لتأثيره على صناعة الرأى العام وصناعة القرار .

محاولة الحكومات الغربية إدماج المسلمين فى مجتمعاتهم بقيمتها الغربية وبمبادئها العلمانية وإطارها النصرانى العام ، ومثال على ذلك ماتطلبه الحكومة الهولندية اليوم (٤٤) من كل الأئمة المسلمين من تعلم اللغة الهولندية ، ويتوجب عليهم أيضاً أخذ دروس حول التاريخ الهولندى والقيم السياسية والاجتماعية الهولندية حتى يفهموها فهماً كاملاً وفى حال إخفاق هؤلاء الأئمة ورسوبهم فى الامتحانات المقررة لن يحصلوا على ترخيص بممارسة الوعظ والخطابة ، ولن يحصلوا على تأشيرات الإقامة ، وهكذا يعتقد الأوروبيون بضرورة أن تكون للمواطنين فى مجتمعاتهم قيم واحدة ، هى تلك القيم التى تشكل الثقافة الغربية والمجتمع الغربى .

يرى «تيموثى» الدبلوماسى الأمريكى (٤٥) (مجلة واشنطن كوارتلى) أن التحدى الإسلامى الذى تواجهه أوروبا اليوم له بعدان : داخلى وخارجى .

التحدى الداخلى : يقتضى من أوروبا إدماج الأقليات الإسلامية التى تعيش فى عزلة (فى الجيتوهات) ، إلا أنها تتزايد ديموجرافيا ، بشكل سريع جداً ، وهو ما يعتبره كثير من الأوروبيين مهدداً للهوية الجماعية الغربية ، ولقيم المجتمع الأوروبى ويعتقد الدبلوماسى الأمريكى أن التمتع عن الاندماج والوصول الى صيغ مثلى للتعايش فى وقت تحدث فيه تحولات ديموجرافية داخل أوروبا ، وأهمها تنامى عدد المسلمين ، من شأنه أن يسلم أوروبا الى حالة من الاضطراب ، والإهتزاز الاجتماعى ، بل ويفتح الأبواب أمام

(الأعراف ٨٥) (هود ٨٤) (العنكبوت ٣٦)

كما أقر الإسلام البر بالوالدين رغم كفرهما ، إبقاء تأييداً للرحم ، الأمر الذي يعنى المحبة والصلة والعطف ، ولكن هذه العاطفة الإنسانية والعلاقة البشرية وليست الحب الإيماني والذي خص به المسلمين وهذا عبد الله بن عبد الله بن أبي سلول يهدد أباه إن لم يعتذر للرسول (ص) رغم اعترافه بحبه له وبره به ، لكن ليس على حساب الدين .

ومن هذا أيضاً جواز الزواج من الكتابية وما قد ينتج عنه من محبة رغم كفر الطرف (الأخر) لكن المحبة هنا فطرية وليس دينية ، بمعنى أنه لايسمح لها بالتجاوز وقد ذكر الله حب المؤمنين - العفوئ - لغيرهم : ((هأنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم)) (آل عمران ١١٩)

وعلى هذا الأساس - أى التفريق بين انواع الحب من جبلى فطرى وإيماني عقائدى - تكون العلاقة مع غير المسلم ، بمعنى الحب له والصلة به ، وهذا يؤكد أيضاً فطرة الله الناس على حب الشهوات ، قال الله تعالى : (زَيْنَ النَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَاَبِ)

(آل عمران ١٤) ويقول رسول الله (ص) : (حبب إلى من الدنيا النساء والطيب وجعل قرّة عيني في الصلاة) (٤٨)

والمحبة على أساس الدين هى الأصل وهى أعلى درجات الحب ، وهذا يقتضى التبرأ من أعداء الدين قال تعالى : (لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ

وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَوَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (المجادلة ٢٢)

فالمودة التى نهى الله عنها فى هذه الآية هى لمن كفر وحاد الله ورسوله ، وليس فقط لمن كفر ، بل هو من زاد على كفره أنه يحاد الله ورسوله ، ويحارب الإسلام والمسلمين .. نكر الشوكانى فى تفسيره ، أن هذه الآية نزلت فى أبى عبيدة بن الجراح ، رضى الله عنه ، عندما قتل والده فى غزوة بدر .

ويبقى السؤال هل كل كافر حربى ؟ هناك من طرح هذا المفهوم وأصله وما ينتج عنه من إباحة دمه وماله ومعاملته بأخلاق الحرب كجواز الكذب والاحتتيال ، الكافر الحربى - كما قرر فقهاء الإسلام - هو من أعلن المسلمون الحرب عليه أو دولته ، خلاف ذلك ، فالأصل فى حال الكافر أنه غير حربى وأحياناً تقع معاهدات بين المسلمين والكفار مما يوجب على جميع رعاياهما (بما فيها المسلمون) الالتزام بها ، هناك حالة ثالثة للكافر وهى (خلاف الحرب وخلاف العهد) احتمالية الحرب.

يذكر كثير من الفقهاء أن (٤٩) (الأصل فى العلاقات بين المسلمين وغير المسلمين الحرب) ولكنهم لم يريدوا بذلك ما يتوهمه كثير من الناس اليوم ، ولو أردنا أن نمحص مقصود الفقهاء فى عصرهم حسب لغة عصرنا لقنا أنهم يقصدون بتلك العبارة (أن الأصل فى العلاقات بين المسلمين وغير المسلمين احتمال الحرب) وليس حتمية الحرب . وذلك يوضح مما يذكرونه من أحكام تتعلق بنزع صفة الحربى لأقل سبب . وعند تمحيص علة القتال (للكافر) نجد أنها

بغير طيب نفس فأنا ججيجه يوم القيامة» (٥١)
أما واقع بلاد الغرب - بالجملة - فليست دار
حرب ، كما زعم بعضهم ، ذلك أن المعول عليه أن
الغرب يميل إلى أن يكون داراً للحرب في الواقع
الحقيقي المعاش .

ولمزيد ايضاح القضية ننقل هنا باختصار شديد
بحثاً للشيخ عبد الرحمن ابن عبد العزيز العقل
حول الموضوع :

«أن الأصل في علاقة المسلمين بغيرهم هو السلم ،
فأما الأدلة من كتاب الله فهي على أربعة أنواع
النوع الأول : الآيات التي أمر الله تعالى فيها
بالسلم وحث فيها على قبوله من الكفار ، حين
اللجوء إليه ، كقوله تعالى : ((يا أيها الذين آمنوا
أدخلوا في السلم)) (البقرة ٢٠٧) وقوله : ((
وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله))
(الأنفال ٦١) وقوله : ((فإن اعتزلوا فلم يقتلوكم
والقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلاً
(النساء ٩٠))

النوع الثاني : الآيات التي قيد الله فيها الأمر
بقتال الكفار في حال اعتدائهم وظلمهم للمسلمين
، كقوله تعالى : ((وقاموا في سبيل الله الذين
يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين)
(البقرة ١٩٠) وقوله (أنن للذين يقاتلون بأنهم
ظلموا وإن الله على نصرهم قدير (الذين أخرجوا
من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله)
(الحج ٣٩-٤٠) .

النوع الثالث : الآيات التي أباح الله فيها صلة
وبر الكفار الذين لم يقاتلونا كقوله تعالى : (لا
ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلونكم في الدين ولم
يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا إليهم
إن الله لا يحب المقسطين) (الممتحنة ٨)

النوع الرابع : قوله تعالى : (لا إكراه في الدين

الحرابة وليس الكفر ، بمعنى أنه لا يستحق القتل
لكفره ، ولو كان هذا صحيحاً ما ترك المسلمون
في البلدان التي فتحوها أى مخالف للإسلام ،
ولأبادوهم عن بكرة أبيهم ، لذلك للإسلام ينطلق
في تعامله مع (الغير) ولو كان كافراً ، من أن
الأصل في العلاقة معه هي السلم لا الحرب ، وقد
ورد في ذلك الكثير من النصوص الشرعية قال
تعالى (إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ
مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصْرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يَقَاتِلُوكُمْ
أَوْ يَقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ
فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنْ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يَقَاتِلُوكُمْ وَالْقُوا إِلَيْكُمْ
السَّلَامَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا) (النساء
٩٠) قوله تعالى : ((وإن جنحوا للسلم فاجنح لها
وتوكل على الله)) (الأنفال ٦١) فالإسلام لا ينزع
للحرب ابتداء ، إلا أن يكون ظلم واعتداء ومنع
من تبليغ رسالة الإسلام للناس أما ما عدا ذلك فلا
إكراه في الدين فالباعث على القتال هو الإعتداء
، وليس مجرد المخالفة والإسلام يكره الحرب
ويعتبر كف المؤمنين عن القتال من المنن التي يمن
الله بها على عباده : (وكفى الله المؤمنين القتال)
(الأحزاب ٢٥)

بل كان النبي الكريم (ص) يغير من أسماء
صحابته الذين تسموا بحرب ومرة (٥٠) لكرهته
للحرب وأسمائها فهذا هو الإتجاه العام والمسار
الذي يضبط علاقتنا مع غير المسلمين ، وإلى هذا
ذهب كثير من الفقهاء ، مسترشدين في ذلك بكتاب
ربهم تبارك وتعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا
قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ
قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ
وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) (المائدة ٨)
وبقول الرسول الكريم (ص) ” ألا من ظلم معاهداً
أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً

إذا قاتلوا أو شاركوا برأى أو إمداد ، قالوا لو كان الأصل مع الكفار الحرب لحملهم على الإسلام ، ما ساغ استثناء هؤلاء ، واستثناءهم برهان على أن القتال إنما هو لمن يقاتل دفاعاً لعدوانه ، قال شيخ الإسلام رحمه الله : الصواب أنهم لا يقاتلون ، لأن القتال هو لمن يقاتلنا ، إذا أردنا إظهار دين الله فلا يباح قتلهم لمجرد ذلك .

إن الأصل في علاقة المسلمين بغيرهم هو دعوتهم إلى دين الإسلام كمرحلة أولى فإذا ما قامت بهذا الحمل الدعوى الكبير ، ودعت أمم الكفر لدين الإسلام ، ففي هذه الحالة ينقسم الكفار إلى أقسام ثلاثة:

القسم الأول : من يستجيب منهم لدعوتنا ، ويعتنق ديننا ، فهؤلاء إخواننا ، لهم مالنا ، وعليهم ما علينا ، قال تعالى : ((فإن تابوا وأقاموا الصلاة وأتوا الزكاة فإخوانكم في الدين)) (التوبة ١١)

القسم الثاني: من لا يقبل الدخول غي الإسلام ، لكن لا يقف في طريق دعوته ، ولا يقاتل من يدعو إليه ، ويلقى إلينا السلم ، سواء كان من أهل العهد أو لم يكن ، فهؤلاء الأصل في حقهم المسالمة ، مالم يعتدوا بقول أو فعل ، وعلى هؤلاء تحمل الآيات التي أمر الله فيها بالسلم ، وأباح فيها الإحسان للكفار ، كقوله تعالى ((لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلونكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين)) (الممتحنة ٨)

القسم الثالث: من يرفض الدخول في الإسلام ، ويقف في طريق دعوته أو ينقض عهداً مع المسلمين أو يعتدى علي أحد منهم بقول أو فعل ، أو يخطط لذلك مستقبلاً ، فهؤلاء الأصل في حقهم الحرب - وهي المرحلة التالية لدعوتهم إلى دين الإسلام - وعلى هؤلاء تحمل الآيات الواردة

قد تبين الرشد من الغي) قال شيخ الإسلام ابن تيمية ، ورحمه الله: جمهور السلف على أنها ليست بمنسوخة ولا مخصوصة ، وإنما النص عام ، فلا نكره أحداً على الدين ، والقتال لمن حاربنا ، فإن أسلم عصم ماله ودينه ، وإذا لم يكن من أهل القتال لا نقتله ، ولا يقدر أحد قط أن ينقل أن رسول الله (ص) أكره أحداً على الإسلام ، لامتنعاً ولا مقدوراً عليه ، ولا فائدة في اسلام مثل هذا ، لكن من أسلم قبل منه ظاهر الإسلام (٥٢)

أما الأدلة من السنة فكثيرة ، منها قول النبي (ص) : ” لا تتمنوا لقاء العدو ، وسلوا الله العافية فإذا لقيتموهم فاصبروا واعملوا أن الجنة تحت ظلال السيوف“ أخرجه البخاري في صحيحه حيث نهى النبي (ص) عن الرغبة في الحرب وتمنى لقاء العدو ، هذا يدل على أن حالة الحرب حالة طارئة ، لا يشرع للمسلم أن يتمناها إلا إذا قامت أسبابها ، حروب النبي (ص) التي خاضها ضد المشركين ، كان المشركون فيها هم المعتدين أو المتسببين بأسباب مباشرة أو غير مباشرة ، وهذا يؤكد أن الأصل مع الكفار السلم لا الحرب ، لو كان الأصل معهم الحرب لكان النبي (ص) يبدؤهم بذلك ، والمتواتر من سيرته (ص) أنه لم يبدأ أحداً بالقتال (٥٣) رسائل النبي (ص) إلى الملوك والأمراء ، ودعوته لهم بالدخول إلى الإسلام يدل على أن الأصل السلم ، ولو كان الأصل الحرب لما أرسل إليهم رسائل ، وإنما بعث إليهم جيوشاً للمحاربة ، وأيضاً الإجماع ، حيث نقل اتفاق المسلمين (٥٤) عملاً بالثابت من السنة انه لا يجوز قتل النساء الصبيان -وزاد الحنفية والمالكة والحنابلة: الرهبان ، والشيوخ ، والعميان والمرضى والعجزة ، والاجراء والفلاحين في حرثهم ، إلا

وإيصال رسالة الإسلام باطمئنان وأمان دون تهديد ووعيد من جانب آخر .

الهوامش

- (×) باحث أكاديمي ،، (المملكة العربية السعودية)
أخرج البخارى فى صحيحه عن عامر عن النعمان بن بشير قال رسول الله (ص) : ” ترى المؤمنين فى تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد ، إذا اشتكى عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ، محمد الغمقى ، رابطة مسلمى سويسرا مقال .
جورجن نيلسون ، مسلمو أوروبا الغربية ، ترجمة محمود عبد الكريم . الشيخ يحيى عبد الواحد ، مدير معهد التعريف بالإسلام فى إيطاليا ، فى حوار مع الإسلام اليوم
يحيى أبو زكريا فى حوار مع صحيفة كوما الكردية .
يحيى أبو زكريا ، مجلة أفق .
يحيى أبو زكريا ، المسلمون فى الغرب ، صحيفة أراب تايمز .
نوازت صواش ، الإسلام والغرب ، إسلام اونلاين .
نوازت صواش ، الإسلام والغرب ، إسلام اونلاين .
نبيل شبيب ، مسلمو الغرب بعد تفجيرات ، إسلام أونلاين .
فى حوار مع إسلام أونلاين ١٤/١/٢٠٠٤م
نبيل شبيب ، مسلمو الغرب بعد التفجيرات ، اسلام اونلاين
الملف السياسى ، صحيفة البيان الإماراتية ٢/١/٢٠٠٤م
نور الدين العويديدى ، الأقليات فى الغرب ، إسلام اونلاين .
اميمة عبد اللطيف ، الإسلام والغرب ، إسلام اونلاين .
قناة الجزيرة ، برنامج بلا حدود .
يحيى أبو زكريا ، الإسلام فى السويد ، مجلة أفق .
مجلة الوسط العدد ٥٤٦ ، ١٥ / ٧ / ٢٠٠٢م
قناة الجزيرة ٣ / ١٠ / ٢٠٠٤م

بقتال المشتركين كقوله تعالى : ((وقتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله)) (البقرة ١٩٣) وقوله : (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ...) ((التوبة ٢٩) وقوله : ((فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم)) (التوبة ٥) .
قال شيخ الإسلام ابن تيمية ، رحمه الله : القتال هو لمن يقاتلنا ، إذا أردنا إظهار دين الله كما قال تعالى : ((وقتلوا فى سبب الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين)) (البقرة ١٩٠) .
وقال الإمام النووى ، رحمه الله : (الناس صنفان ، فأما الذين قاتلوا أهل الإسلام ، أو أكلوهم عن اوطانهم ، أو أعانوا على شئ من ذلك فمن الظلم المنهى عنه ان يتولاهم المسلمون ، ويحسنوا إليهم ، لهؤلاء وامثالهم شرع القتال ليفسحوا للدعوة سبيلها ، وأما الذين لم يفعلوا شيئاً من ذلك فلا على المسلمين إلا الإحسان إليهم والبذل لهم ولو كان هؤلاء ممن أمر بقتالهم لما ساغ ذلك ، فعسى أن يكون فيه قوة لهم ، مع أن إضعاف العدو بكل وسيلة من أخص ما يعنى به المحاربون (٥٥) .
وبناء على ذلك فإن طبيعة العلاقة بين المسلمين المقيمين فى الغرب وشعوب تلك البلدان تقتضى التزام قوانينهم - فى ما لا يخالف قواعد الإسلام وأحكامه - كجزء من عهد الإقامة بين ظهرانيهم .. وعلى الرغم من أن هناك بعض الأصوات التى تحذر من الإسلام فى الغرب وتهول من صراع الحضارات (رغم أن الإسلام منتصر لا محالة كما بين ذلك الصادق الأمين (ص) إلا أنه ليس من المصلحة إظهار الأمر ، بل قد يكون من الأنسب - لهم - العمل على إزالة الحواجز بينهم وبين الغرب الكافر ، ليسهل عليهم البقاء من جانب

المسلمون في الغرب قبل وبعد الحادي عشر من سبتمبر

مرزوق عبد الله نائب رئيس الجامعة الإسلامية في هولندا في حوار مع صحيفة الوطن القطرية
نبيل شبيب ، مستقبل المسلمين في الغرب إسلام أونلاين
غراهم فولر المسلمون والتعددية الثقافية موقع الجزيرة .
الدراسة ترجمت ونشرت في العديد من المواقع العربية ، نقلاً عن المجلة الصادرة في صيف ٢٠٠٤م
عصام البشير ، مؤتمر الإسلام والغرب ، الخرطوم ، ديسمبر ٢٠٠٣ فيصل مولوى المفاهيم الأساسية للدعوة الإسلامية في بلاد الغرب .
سيرة ابن هشام والكلام عن هذا الحلف ذكر في البداية والنهاية لابن كثير باسناد صحيح .
أخرجه الترمذي وأحمد والطبري في الأوسط والبيهقي في السنن
فيصل مولوى ، المفاهيم الأساسية للدعوة الإسلامية في بلاد الغرب
ونيس المبروك في الغرب أستاذ الفقه بالكلية الأوربية للدراسات الإسلامية منتدى التاريخ
أخرجه أبو داود
السياسة الشرعية ، ص ١٢٣-١٢٥
ابن تيمية ، رسالة القتال ، ص ١٢٥
مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٨ / ٤١٤
شرح مسلم ٩٨ / ١

علاء بيومي ، مسلموا أمريكا أسلام أونلاين
علاء بيومي ، قناة الجزيرة
رشدى سعيد ، العرب الأمريكيون أحداث سبتمبر ، جريدة مستقبلات الإلكترونية
عبد الوهاب خضر ، الأمن القومي في زمن جورج بوش موقع زجار
نهاد عوض ، مدير كير في حوار مع محيط
علاء بيومي ، التطور السياسي لمسلمي أميركا أراب ميل
عبد الكريم لعلام منتدى التاريخ
عبد الله بن ياسين منتدى التاريخ
المصدر السابق
نفسه
يحيى أبو زكريا الإسلام دين رسمي في السويد إسلام أونلاين
يحيى أبو زكريا هل تأثر مسلموا السويد بأحداث سبتمبر الإسلام اليوم
نفسه
أحمد نوفل ، دور العرب في أوربا ، صحيفة الوطن العمانية ١٠ / ١٠ / ٢٠٠٤م
أحمد نوفل ، دور العرب في أوربا ، صحيفة الوطن العمانية ١٠ / ١٠ / ٢٠٠٤م
صديق سلام ، حورا في قناة الجزيرة .
المصدر السابق .
جريدة الرياض تقرير ٣٠ / ١٠ / ٢٠٠٣م
شبكة النبا الإخبارية ١٥ / ١٠ / ٢٠٠٣م
قيس العزاوي ، صورة الإسلام والمسلمين في فرنسا ، موقع بيانات ١ / ١٠ / ٢٠٠٤م
وكالة رويترز للأخبار ٥ / ٤ / ٢٠٠٤م
جريدة الرياض ، تقرير عن الجاليات الإسلامية في أوروبا ٣٠ / ١٠ / ٢٠٠٤م
يحيى أبو زكريا المسلمون في فرنسا ، الإسلام اليوم ١٤ / ٤ / ٢٠٠٢م
نبيل شبيب ، مستقبل المسلمين في الغرب ، إسلام أونلاين